





الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

النبع الجاف

يا فيض نبـع الحبّ يا نهـر الخلود
حطم الأسـوار لا تخشى السـدود
هب حنانك دون حـد أو قيـود
أنت عشق الزهر ريحـان الورود
لا تكن يوماً لحاقـد أو حسـود
وإن جفّ ماؤك فلتكن ناراً تسـود

(نبيـل)

١ – أنا !..

سأنتحر ..

لا تستنكروا عبارتى ، فأنا من سيغادر هذا العالم لا أنتم ..

لا تجزعوا لكلماتى ، فأنا أستحقّ الموت ..

لم يعد هناك ما يربطنى بالحياة ، ولم تعد أمامى سوى وسيلتين .. إما أن أجنّ ، أو أنتحر ..

وأنا أكره أن أجنّ ..

أكره تلك الشفقة المصحوبة بالسخرية ، والتى تطل من عينى من يشاهدون معتوهاً أو مجنوناً ..

لا تحاولوا منعى ..

أو حاولوا ، فلم تعد هناك فائدة ..

لقد تناولت منذ لحظات محتويات زجاجة كاملة من الأقراص المنوّمة ..

كانت خطتى فى البداية أن أرقد على فراشى ، مستسلماً لذلك النعاس النهائى ، الذى لن يلبث أن يسيطر على عقلى ، فلا أستيقظ أبداً ..

ولكن تلك الفكرة اللعينة ألحت على رأسى فى إصرار وعناد ..

فكرة أن أقصّ عليكم قصتى ، وأشرح لكم سبب إقدامى على الانتحار ..

لست أدرى لماذا تراود الإنسان دائماً هذه الأفكار الحمقاء ، عندما يصبح قاب قوسين أو أدنى من لحظته الأخيرة ..

لم أستطع الاستسلام للموت ..

كانت هناك قوة أكبر منى ، تدفعنى لكتابة هذه الكلمات .. ولم يكن أمامى سوى طاعتها ..

استمعوا إلىّ جيداً ، فلن أكرّر عبارة واحدة ، فلابد لى من إتمام القصة قبل أن يداهمنى النعاس الأخير ..

أعتقد أن قواعد الذوق تقتضى أن أخبركم أولاً من أنا ..

أنا ....

كلاّ .. فليذهب الذوق ، ولتذهب اللياقة إلى الجحيم.

أى ذوق هذا ، وأية لياقة يحرص عليهما رجل فى طريقه إلى الموت ؟

كل ما أستطيع إخباركم به ، هو أننى من أبناء الصعيد..

وبالذات من مدينة (دشنا) ، إحدى مدن محافظة قنا..

قد تبدو لكم هذه المعلومة عديمة القيمة ، ولكنها ليست كذلك ..

إنها السبب الرئيسى الذى يدفعنى للانتحار ..

هذا لا يعنى أننى أتبرّأ من مدينتى ، إننى على العكس أفخر بها ، وأفخر بانتسابى إليها ، وبكونى أحد أبنائها ..

ولكنها التقاليد ..

والتقاليد فى الصعيد أيها السادة عالم آخر ..

قد تبدو لكم يا أبناء القاهرة مثيرة للعجب أو السخرية ، ولكنها تقاليدنا ، ونحن نتمسك بها ، ونحرص عليها أشد الحرص ..

بل إننا قد نقتل من أجلها ..

والصعيد أيها السادة ليس مجتمعاً واحداً .. إنه عدة مجتمعات فى وعاء واحد ، فأبناء الصعيد يعيشون دائماً فى مجتمعات قبلية ، تماماً كما كان الناس فى العصور القديمة..

قد يضطرُّون إلى مسايرة القوانين الحكومية ، وطاعتها .. ولكنهم لا يبالون بها ، فلهم دائماً قانونهم الخاص ، ولكل فئة منهم قانون يختلف عن الفئات

الأخرى ، ولكنهم يتفقون فى اعتزاز كل فئة منهم بنفسها ، وفى اعتبار قبيلتهم هى الجنس الأسمى ، ومن عدا ذلك فهو من الجنس الأدنى ..

هناك تجد من يطلقون على أنفسهم اسم الهوّارة ، وآخرين يسمون أنفسهم بالأشراف ، وهناك العرب والدهاشنة و ... و ...

كل قبيلة من هذه ترفض تزويج بناتها من أبناء القبائل الأخرى ، وتعد هذا عاراً لا تمحوه الأيام ..

لعلكم فهمتم الآن مغزى ذلك الاستطراد فى قصتى ..

بل لعلكم قد فهمتم القصة تقريباً ..

والقصة الحقيقية لم تحدث فى (دشنا) .. بل لم تحدث فى أى من مدن الصعيد ..

لقد حدثت فى القاهرة ..

وسأقصها عليكم كما لو كنت أروى قصة أخرى ..

سأقصها كما لو لم أكن أحد أبطالها ..

اسمعوا إذن قصتى ، وحاولوا أن تعرفوا منها من أنا ..

هيا .. حاولوا .

* * *

٢ ـ حامد وراوية ..

تبدأ القصة فى واحدة من كليات جامعة القاهرة ، وبالتحديد فى كلية الصيدلة ، حيث يعمل (حامد) ، و (راوية) معيدين فى قسم واحد ، وهو قسم الأدوية ..

لم تبدأ علاقة (حامد) و (راوية) بعد عملهما فى القسم ، وإنما بدأت وهما بعد طالبان فى الكلية ..

أيامها نشأت بينهما قصة حبّ هادئة جميلة .. كانت حديث كلية الصيدلة ، بل كانت حديث جامعة القاهرة بأكملها ، فقد كانت قصة حبّ نظيفة أنيقة ، لا تبعث فى النفوس سوى الإعجاب والاحترام ..

كانا يلتقيان كل صباح على بوّابة الكلية ، فيبتسم كل منهما فى وجه الآخر ابتسامة تفيض حبًّا وعشقاً وهياماً ، ثم تلتقى كفاهما فى مصافحة رقيقة ، ويتبادلان كلمات هامسة ، لم ينجح أى من زملائهما يوماً فى التقاطها ..

بعد ذلك كانا يتوجهان معاً إلى قاعة المحاضرات ، حث يصغى كلّ منهما إلى المحاضر فى اهتمام ، ثم يغادران القاعة بعد انتهاء المحاضرة ، فيذهب كل منهما إلى معمله ..

أراهنك أن قلبك كان سيختلج بين ضلوعك كالعصفور ، لو أنك رأيتهما وهما يفترقان فى تلك اللحظة.

كانت اللهفة تملأ عيونهما ، وكأنهما ينفصلان إلى الأبد..

كانا يتباعدان فى بطء وتثاقل ، وكأن كلاً منهما يحاول إطالة الوقت قبل لحظة الفراق القصير ، ثم لا تلبث خطواتهما أن تسرع ، وكأن بينهما اتفاقاً غير مكتوب على ألا يضيع الحبّ تفوّقهما فى الدراسة ..

وبعد انتهاء فترة المعامل يعودان للقاء فى لهفة ، وتنطلق من أعماقهما ضحكات مرحة ، تعبر عن فرحتهما باللقاء..

وآه من لحظة الفراق فى نهاية اليوم الجامعى !!

تكاد عيونهما تبكى فى لوعة .. وقلوبهما تدمى فى أسًى ..

كانا يقفان فى كل يوم أمام بعضهما البعض فى صمت ، قبل لحظة الفراق ، وكأن كلاً منهما يؤكد للآخر ، أنه سيعيش عذاب الفراق حتى يأتى الصباح التالى..

كان عذابهما يكمن فى الإجازات الأسبوعية ، والإجازة الصيفية الطويلة ..

كان فراقهما – حينذاك – يمزّق مشاعرهما ، ويحطم حنانهما ..

يقول المقرّبون إن (حامد) كان يزداد نحولاً وشحوباً فى الإجازات ، وإن (راوية) كانت تظل شاردة ، واجمة طيلة الإجازة ..

ولكنهما لم يحاولا الالتقاء يوماً خارج الجامعة ، فقد كانا يعلمان أن هذا خطأ ، ما داما لم يرتبطا برباط رسمى أمام عائلتيهما ..

نسيت أن أخبركما كيف يبدو (حامد) ، وكيف تبدو (راوية) ..

إن (حامد) شاب نحيل ، هادئ الطباع ، له أنف مستقيم ، وعينان تلوح فيهما الطيبة والمرح ، وهو أسمر البشرة مجعد الشعر ، له شارب أنيق تحت أنفه ، وتلوح فى سيماه شهامة الريفى الأصيل ، الذى ما زال يحتفظ بكل ما فى النفس من خصال طيبة ..

أما (راوية) فهى فتاة متوسطة الطول ، لها بشرة خمرية ، وعينان عسليتا اللون ، واسعتان ، لها رموش سوداء طويلة ..

شعرها الأسود الطويل يتموّج فى هدوء فوق رأسها ، وينسدل على كتفيها فى رقة جميلة ..

شفتاها زهرة من زهور الجنة ، ودفقة من دفء الحياة ..

أما قلبها فهو نبع من الحبّ والحنان ..

نبع لا تجفّ مياهه العطرة ، مهما أفاض وأروى ..

اسمها (راوية) ، وهى راوية ، تروى القلوب بنبع حبها الذى لا ينضب ..

لقد نجحت (راوية) فى البكالوريوس بتفوّق ، وكذلك فعل (حامد) ..

كان ترتيبه الأول ، وترتيبها الثانية ، وتمّ تعيينهما فى فى قسم واحد ، معيدين فى كلية الصيدلة ..

أخيراً لم تعد تفرّقهما المعامل ، بل أصبحت تجمعهما فى أبحاثهما ودراستهما ..

وفى ذلك اليوم من أيام أغسطس ، جمعهما معمل الأدوية ، والتقيا بنفس الابتسامة المتلهفة ، واقترب (حامد) من (راوية) ، وهمس فى أذنها :

ـ ألم يحن الوقت بعد ؟

خفضت رأسها فى خجل وسعادة ، وهمست ووجهها يتضرّج بحمرة الخجل :

ـ يحن لماذا ؟

ابتسم فى حنان ، وقال :

ـ لزواجنا .

ازدادت حمرة وجهها ، وتضاعف خجلها وهى تهمس :

ـ لك أنت أن تقرّر ذلك .

ضحك فى مرح ، وقال :

ـ لقد قرّرت .

ثم أردف فى جدّية :

ـ متى يمكننى مقابلة والدك ؟

همست وقلبها يختلج فى قوة وسعادة ، لمقدم ذلك اليوم ، الذى عاشت تحلم به منذ أول لقاء لها معه :

ـ الليلة إن أردت .

تهللت أساريره ، وهتف فى سعادة :

ـ فليكن موعدنا فى السابعة مساءً إذن .

السابعة .. متى تدق الساعة السابعة ؟. متى يأتى موعد لقائهما ؟

تردّد هذا الهتاف فى أعماق (راوية) ، وهى تصعد فى سلالم منزلها ، وتقرع الباب فى سعادة واضحة ..

ولم تكد أمها تفتح الباب ، حتى ألقت هى بنفسها بين ذراعيها ، وصاحت :

– كيف حالك يا أجمل أمّ فى الوجود ؟

تهلل قلب الأم لفرحة ابنتها ، فانهالت عليها بالقبلات ، وهى تضمها إلى صدرها فى سعادة ، وتهتف :

– كيف حالك أنت يا أجمل ابنة ؟

ضحكت (راوية) فى مرح ، وقالت :

– لا يوجد من هو أجمل منك يا أماه .

ثم أردفت فى اهتمام :

– هل عاد والدى من عمله ؟

أجابتها الأم فى اهتمام مماثل :

– إنه فى حجرة مكتبه .

أسرعت (راوية) إلى حجرة مكتب أبيها ، وتابعتها الأم ببصرها فى سعادة ، وهى تغمغم ، وقد أنبأها قلبها بسبب فرحة ابنتها :

– يا لك من عروس جميلة يا (راوية) !!

دقت (راوية) باب مكتب والدها فى هدوء ، وانتظرت حتى جاءها صوته الصارم يقول :

– ادخل يا من بالباب .

دفعت (راوية) الباب ، ودخلت على أطراف أصابعها ، كعادتها كلما اقتحمت على أبيها خلوته ، وتابعها هو بنظراته الصارمة ، حتى اتخذت المقعد المقابل له ، فقال فى هدوء :

– خيراً !

ترددت (راوية) لحظة ، وهى تتأمل ملامح أبيها الصارمة ..

كانت الطبيعة قد وهبته ملامح صارمة ، وبشرة خمرية حوّلها العمل إلى لون داكن بعض الشىء ، وهو يصر على إطلاق شاربه فى مبالغة ، تزيد ملامحه صرامة ، وكانت له عينان عسليتا اللون كابنته ، إلا أنهما نفّاذتان صارمتان ، أطالا من تردد (راوية) قبل أن تقول :

– هناك زميل لى يرغب فى مقابلتك يا أبتاه .

عقد حاجبيه وهو يزيح الكتاب ، الذى كان يقرؤه جانباً ، ثم سألها :

– ولماذا يرغب فى مقابلتى ؟

تخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وهمست :

- لست أدرى .

تأمل الوالد ارتباكها وخجلها ، وقال فى هدوء :

- إنه يريد الزواج منك .. أليس كذلك ؟

غمغمت وقد اشتدّ خجلها :

- ربما .

ظلت ملامح الوالد صارمة لحظة ، ثم عاد يلتقط كتابه ، وينقل بصره إليه ، قائلاً :

- فليأت بعد غد .

ارتبكت (راوية) ، وغمغمت :

- يقول إنه سيأتى فى السابعة من مساء اليوم يا أبى .

اتسعت عينا الوالد فى استنكار ، كما لو كان قد تلقى صفعة قوية ، وعاد يلقى كتابه جانباً ، ويقول فى غضب وصرامة :

- ومن أعطاه هذا الموعد ؟

ازداد ارتباك (راوية) ، وهى تقول :

- هو الذى ....

قاطعها الوالد هاتفاً :

- هو الذى ؟.. إذا أراد مقابلتى ، فلينتظر حتى أحدد أنا موعد اللقاء .

تجمعت الدموع فى عينى (راوية) ، وهى تقول :

- ليست هناك من وسيلة لإخباره بتأجيل الموعد يا أبى.

قال فى برود ، وهو يستعيد كتابه للمرة الثانية :

- ليكن .. سأغادر المنزل فى السادسة .

كادت تبكى وهى تسأله فى صوت ضعيف :

- ألديك عمل عاجل ؟

أجابها والدها فى برود :

- ليس لدىّ أى عمل على الإطلاق ، ولكننى لن أستقبله الليلة .

لم تفهم (راوية) سبب تعنت والدها هذه المرة ..

لقد عهدته دائماً صارماً عنيداً ، ولكنها لم تعهده متعنتاً ..

عادت تغمغم فى لهجة أقرب إلى التوسل :

- أرجوك يا والدى .

قال فى صرامة :

- اذهبى إلى والدتك ، فأنا أقرأ كتاباً هاماً .

توقفت (راوية) عن مناقشته عند هذه النقطة ..

كانت تعلم أن مناقشته لن تؤدى إلا إلى مزيد من العناد ..

انصرفت من حجرة مكتبه، وهى تفكر فى (حامد)..
تضرَّعت إلى الله ألا يجرح هذا كرامته ..
امتلأ قلبها بالخوف على حبها ، فهتفت من أعماقها :
ـ ربَّاه .. إننا لم نغضبك يوماً .. عاوننا يا إلهى .



٣ ـ نبع العذاب ..

انتفض قلب (راوية) ، واختلج بين ضلوعها ، عندما دق جرس الباب فى تمام السابعة ، فتعلقت بذراع أمها ، وقالت فى صوت كالبكاء :
ـ ماذا نفعل يا أمَّاه ؟.. لقد انصرف والدى ، وهاهو ذا (حامد) .
ربَّتت الأم على كفِّ ابنتها فى حنان ، وقالت :
ـ لا تخشى شيئاً يا بنيتى .. إنه لن يغضب .
وازداد اختلاج قلب (راوية) ، عندما توجهت أمها لتفتح الباب ..
ازداد اختلاج قلبها، حتى كادت تسقط مغشيًّا عليها ..
وفتحت الأم الباب ، وطالعها وجه (حامد) الباسم البشوش ..
ابتسامته المشرقة ألقت بفيض من الحنان فى أعماقها ..
كادت تستقبله بين ذراعيها ، وتربِّت على رأسه فى حنان كما تفعل مع ابنتها ..
إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يهبها من الأبناء سوى

(راوية) ، وكانت تتوق دوماً إلى ابن تهبه جزءاً من حنانها الفيّاض ..

وفى هذه اللحظة ، وهى تتأمل وجه (حامد) الباسم ، شعرت أن الله — سبحانه وتعالى — قد منحها هذا الابن ..

انتقلت بشاشته إليها ، وهى تبتسم ابتسامة واسعة ، ملؤها الحنان والحبّ ، وتهتف فى أمومة صادقة :

— مرحباً يا ولدى .. كيف حالك ؟

مسّ صوتها المفعم بالأمومة شغاف قلبه ، فانحنى يقبّل كفّها ، كما كان يفعل مع والدته — رحمها الله — وقال :

— فى خير حال يا أمّاه .

ثم اعتدل ، وقال وهو يبتسم :

— ترى .. هل أتيت فى موعد مناسب ؟

قفزت (راوية) من مقعدها ، وقذفتها قدماها إليه وهى تهتف :

— تفضّل على الرحب والسعة يا (حامد) .

أنسته رؤيتها الدنيا وما فيها ، فتقدم بضع خطوات إلى الداخل ، وهمّ بمصافحتها فى حنان ولهفة كعادتهما ، إلا أنه توقف فجأة ، وتلفّت حوله فى ارتباك ، وسأل :

— هل والدك هنا ؟

تبادلت الأم وابنتها نظرات مرتبكة ، ثم قالت الأم فى خجل :

— معذرة يا ولدى ، لقد كان مرتبطاً بموعد سابق و...

قبل أن تتمّ كلماتها ، قفز (حامد) كالملسوع ، إلى خارج المنزل ، وغمغم فى ارتباك :

— عفواً لدخولى إذن .. متى يعود الوالد ؟

هتفت الأم فى ترحاب صادق :

— بل تفضّل يا ولدى .. أنت على الرحب والسعة .

هزّ رأسه نفياً فى قوة ، وقال :

— كلاً ، كلاً .. سأعود حينما يكون الوالد هنا ..

وعاد يسأل فى لهفة :

— متى يمكنه استقبالى ؟

غمغمت (راوية) فى انكسار :

— بعد غد بإذن الله .

ظهرت خيبة الأمل على وجهه لحظة ، ثم لم يلبث أن قال فى هدوء حزين :

— حسناً .. لن يضيرنا الانتظار .. سأعود بعد غد .

ثم أسرع يهبط فى درجات السلم ، على حين اندفعت (راوية) إلى حجرتها ، وانفجرت بالبكاء وهى تنتحب قائلة :

– لماذا فعلت بى هذا يا أبتاه ؟.. لماذا ؟

لم تعلم الإجابة فى هذه الليلة ، فهى لم تلتق بوالدها عندما عاد فى آخر الليل ..

ظلت تبكى فى حجرتها ، على حين جلس والدها يستمع من أمها عما فعله (حامد) ، حينما لم يجده فى المنزل ، وتألق فى عينيه بريق إعجاب ، لم يخف على الأم ، وهو يفتّل شاربه الكبير ، قائلاً :

– أهو فعل ذلك ؟

أجابته الأم فى استسلام اعتادته ، من طوال معاشرتها له :

– نعم .. وكان يبدو حزيناً خائباً .

عاد الوالد يفتّل شاربه فى صمت ، ثم قال :

– إنه شاب ناضج أمين .

سألته الأم فى لهفة :

– هل تعنى أنك توافق على الزواج ؟

عاد يحدجها بنظرة صارمة ، ويقول :

– لم يحن الوقت بعد .

لم تدر (راوية) شيئاً عن هذه المحادثة ، وهى تتوجه إلى عملها فى معمل الأدوية فى الصباح التالى ..

كانت تجر قدميها جرًّا ، وهى تخشى لأول مرة مواجهة (حامد) ..

كانت تخشى غضبه واستياءه ..

ولكنه استقبلها بابتسامته المتلهفة الحنون كعادته ، ولكن عينيه امتلأتا بالجزع ، وهو يلمح شحوبها وتوترها ، فهتف :

– ماذا بك يا (راوية) ؟

لم تستطع مواجهة عينيه ، وهى تغمغم :

– إننى أعتذر عن عدم استطاعة والدى مقابلتك و ...

قاطعها فى حنان :

– لقد انتظرنا طويلاً ، ولن يضيرنا انتظار يومين آخرين ..

حملت همساته فيضاً من الدفء إلى أعماقها ، فرفعت عينيها إليه فى حبٍّ ..

امتدت يده إليها ، وامتدت يدها إليه .. وتصافحا ..

تصافحا بنفس الحنان والحبّ الذى اعتاداه منذ تعارفهما الأول ، وهمس كل منهما بالكلمات نفسها التى اعتاد التهامس بها ، ثم قال (حامد) :

ـ لقد أرسلت خطاباً لشقيقى الأكبر (أبو الوفا) ، أخبره بعزمى الزواج منك .

ابتسمت فى خجل ، فأردف فى سعادة :

ـ أنت تعلمين أنه بمثابة والد لى ، منذ فقدت أمى وأبى ، وكان لابد أن يعلم .

غمغمت فى خجل :

ـ بالطبع .

عاد إليهما مرحهما كله ...

أنساهما حبهما كل شىء .. أنساهما الوقت والزمن ..

أنساهما كل شىء ، إلا موعد لقاء (حامد) بوالد (راوية) ..

فى الوقت المحدد تماماً ، كان (حامد) يدق باب منزل (راوية) ..

وفى هذه المرة استقبله الوالد بنفسه ..

استقبله بابتسامة باشة هادئة ، وإن لم تخف صرامته

المعهودة ، وقاده إلى حجرة الجلوس مباشرة ، ثم جلس على المقعد المقابل له ، وتفرّس فى ملامحه جيداً ..

شعر (حامد) ببعض الارتباك أمام نظرات الوالد الفاحصة ، ولكنه استجمع جرأته ، ونفض ارتباكه وهو يقول :

ـ لعل سيادتك تعلم تقريباً الغرض من حضورى إلى هنا .

ابتسم الوالد ، وهو يقول فى هدوء :

ـ تقريباً ..

ازدرد (حامد) لعابه ، وتابع :

ـ اسمى (حامد الليثى) ، ومهنتى معيد بقسم الأدوية ، فى كلية الصيدلية ، يبلغ مرتبى الشهرى ....

قاطعه الوالد ، وهو يبتسم فى هدوء :

ـ أعرف مرتبك يا ولدى ، فهو نفس مرتب ابنتى .

أومأ (حامد) برأسه موافقاً ، وقال :

ـ نعم يا عمّاه .. ولكننى أحصل على إيراد إضافى محترم من قطعة أرض زراعية ببلدتى .

عاد الوالد يقاطعه ، قائلاً :

ـ دعنا من دخلك السنوى ، وأجب عن سؤالى .

هتف (حامد) فى حماس :

ـ كما تأمر يا عمّاه .

ابتسم الوالد ، وسأله :

ـ لماذا انصرفت أمس الأول .

بدت الدهشة على وجه (حامد) لحظة ، ثم بدا وكأنه فهم السؤال ، فقد أجاب فى سرعة :

ـ لم تكن أنت بالبيت يا عمّاه ، وليس من تقاليدنا أن أدخل بيتاً خرج منه صاحبه ، ثم إن وجود نساء وحدهن فى المنزل يقتضى عدم دخولى .

تألق الإعجاب فى عينى الوالد ، وفتّل شاربه وهو يقول :

ـ هكذا يفعل كل رجل شريف .

ثم أردف ، وهو يميل بجسده نحو (حامد) :

ـ أنت شاب يأمن المرء لابنته فى كنفك .

تهللت أسارير (حامد) ، وكادت (راوية) تطلق صرخة سعادة من خلف باب حجرتها ، حيث وقفت تسترق السمع مع والدتها ..

وفهمت الوالدة مغزى عبارة الأب ، فأخذت ابنتها بين ذراعيها ، وقبّلتها فى وجنتها بحب وسعادة وهى تقول :

ـ مبارك يا بنيتى .

احمرّ وجه (راوية) خجلاً ، وغمغمت :

ـ دعينا نستمع إلى باقى الحديث يا أمّاه ..

كان الوالد يسأل (حامد) فى هذه اللحظة :

ـ تقول إنك تمتلك أرضاً زراعية فى بلدتك .. أين هى بلدتك بالضبط ؟

ابتسم (حامد) ، وهو يقول فى فخر :

ـ إننى واحد من أبناء الصعيد ، من مركز (دشنا) .

عقد الوالد حاجبيه فى صرامة ، وتراجع فى مقعده ، وأخذ يداعب شاربه فى عصبية واضحة ، وهو يقول :

ـ من مركز (دشنا) ؟! .. إلى أى عائلة تنتمى ؟

شعر (حامد) بالحيرة لهذا التبدّل المفاجئ ، الذى أصاب والد (راوية) ، ولكنه أجاب :

ـ قلت لك إننى أنتمى إلى عائلة (الليثى) يا عمّاه

سأله الوالد فيما يشبه الشرود :

ـ (مختار الليثى) ، أم (فوزى الليثى) ؟

جاء دور (حامد) ليعقد حاجبيه ، وهو يسأل :

– هل تعرفهما يا عمَّاه ؟

كرَّر الوالد سؤاله فى صرامة :

– لأيهما تنتمى يا سيد (حامد) ؟

أجابه (حامد) فى دهشة :

– والدى هو (فوزى الليثى) – رحمه الله – يا عمَّاه .

بدا وكأن الوالد قد أصيب بصدمة قاسية ، فقد شحب وجهه ، واستند بظهره إلى مقعده ، وتشبث بقبضته فى مسنده ، حتى أن (حامد) سأله فى جزع :

– ماذا أصابك يا عمَّاه ؟

بقى الوالد يتطلع إليه لحظة ، ثم قال فى صرامة وبرود :

– آسف يا أستاذ (حامد) .. لا يمكننى إتمام هذا الزواج أبداً .

ثم كرَّر فى مزيد من الصرامة :

– أبداً .

* * *

دارت الأرض أمام عينى (راوية) ، وكتمت فى صعوبة صرخة لوعة ، كادت تفلت من بين شفتيها ..

عجزت قدماها عن حملها ، فتهاوت على طرف فراشها ، واحتضنتها أمها فى جزع ..

أما (حامد) فقد فرَّت الدماء من وجهه ، وشعر بعجزه عن الحركة والنطق ، حتى أنه بذل مجهوداً يفوق طاقة البشر ، ليقول فى صوت متحشرج :

– ولكن لماذا يا عمَّاه ؟

أجابه الوالد فى خشونة :

– لأننى أيضاً من مركز (دشنا) يا أستاذ (حامد) ، ولكننى من عائلة (الهوَّارى) .

هتف (حامد) :

– وما الذى يعوق زواجنا فى هذا ؟

ازداد انعقاد حاجبى الوالد ، ولوَّح بكفه صائحاً :

– ألم تفهم بعد ؟! .. نحن من الهوارة ، وأنتم من العرب ، ومن العار فى تقاليدنا أن أزوِّجك ابنتى .

صاح (حامد) فى استنكار :

ــ هذه تقاليد بالية يا سيِّدى .

قال الوالد فى صرامة :

ــ تقاليد الصعيد لا تبلى أبداً يا فتى .

قال (حامد) :

ــ أنت تعيش فى القاهرة منذ زمن طويل .

ــ ولكن جذورى ما زالت ترتوى من أرض الصعيد .

ــ الإنسان يتبع تقاليد المكان الذى يقيم فيه .

ــ خطأ يا فتى .. إن التقاليد تنبع مع الفرد ، ولا تغادره إلا بعد أن تغادر منه الروح الجسد .

ــ ليس من المنطق أن نتبع تقاليد ، لا تناسب العصر الذى نعيشه .

ــ هناك من التقاليد ما يشبه الماء والهواء ، لا تختلف مكوّناتهما من عصر إلى آخر .

ــ لقد تحدَّيت أنا التقاليد بطلبى الزواج من ابنتك .

ــ أنت تتصوَّر ذلك ، ولكن أهلك لن يسمحوا لك بذلك .

ــ سأتحدَّاهم جميعاً .

ــ افعل ما بدا لك ، ولكننى لن أساير حماقاتك .

ــ عاوننى على الأقل .

صمت الوالد هــذه المرَّة ، ولم يكمل الحــوار ، وانطلقت من عينيه نظرة صارمة ، كان فيها الجواب الكافى ، فغمغم (حامد) فى شحوب :

ــ أليس هناك من فائدة ؟

جاء جواب الوالد صارماً قاسياً ، وهو يقول :

ــ وداعاً يا أستاذ (حامد) .

وداعاً .. وداعاً ..

يا لها من كلمة قاسية مريرة ، حطمت أعظم حبّ فى هذا العالم المادى القبيح !!

هكذا تحدث (حامد) إلى نفسه ، وهو يقطع الطريق الطويل بين منزل (راوية) ، ومنزله على قدميه ..

كان يسير شارداً ، زائغ النظرات ، واجم الملامح ..

من المستحيل أن تنتهى قصة حبه لـ (راوية) على هذا النحو ..

ليس من العدل أن يفترقا على هذه الصورة ..

لعن التقاليد القديمة ، والقبلية ..

لعن صعيد مصر كله ..

توقف على كورنيش النيل يتأمل مياهه ، التى تألقت بالأضواء المنعكسة عليها ..

راودته لحظة فكرة الانتحار ..

فكرة إلقاء نفسه فى النيل ..

ولكنها لم تلبث أن تراجعت ..

عاد يسير صامتاً ، وعقله يبحث عن وسيلة لتحطيم هذا الحائل العجيب ، الذى أقيم بينه وبين من يحبّ ..

لم يشعر بمضى الوقت ، حتى وجد نفسه فجأة أمام منزله ..

صعد فى درجات السلم فى بطء وتراخ ، ودس مفتاحه فى ثقب الباب فى حركة آلية شاردة ، ثم دفع الباب ، ووقف لحظة يتأمل الشقة المظلمة ..

بدت له فى هذه اللحظة كقبر يضم رفات أحلامه ، وجثة أمانيه ..

وبقدميه خطا إلى القبر ، وأغلق الباب خلفه ..

وفى هدوء ولا مبالاة أضاء ردهة المنزل ..

لم يكد يفعل ، حتى تراءى له ذلك الشخص الذى يجلس على المقعد المقابل ..

ذلك الشخص الذى تنم ملامحه على صرامة لا حدود لها .

هتف فى دهشة ، تمتزج ببعض ما تبقى فى قلبه من شعور :

– (أبو الوفا) ؟! .. متى حضرت ؟.. وكيف دخلت إلى هنا ؟

أسرع يعانق شقيقه الأكبر ، الذى أجابه فى برود :

– لقد حضرت فور تسلمى خطابك .. أسرعت إلى هنا فى أول قطار ، واستخدمت ذلك المفتاح الذى أعطيتنى إيّاه فى دخول شقتك .

لم يلحظ (حامد) برود شقيقه ، وهو يقول :

– آه .. كنت قد نسيت أمر هذا المفتاح .. حمداً لله على سلامتك .. هل تحبّ أن أعد لك طعام العشاء ؟

أزاحه شقيقه فى حنق ، وصاح فجأة :

– ما هذا الخطاب الأحمق الذى أرسلته ؟.. هل أصابك الجنون ؟

حدّق (حامد) فى وجه (أبو الوفا) لحظة ، ثم غمغم فى دهشة :

– الجنون ؟!

هتف (أبو الوفا) فى غضب :

– بلا شك .. ما دمت تفكر فى الزواج من ابنة (إبراهيم الهوارى) .

عقد (حامد) حاجبيه فى غضب ، وصاح :

– وماذا فى ذلك ؟.. أنتم تتحدثون كما لو كان الزواج عاراً .

تحوّل الحديث بينهما إلى صراخ غاضب ، و(أبو الوفا) يقول :

– إنه يصبح عاراً عندما يتزوّج العربى من هوّارية .

– ويصبح عاديًّا لو تزوج فتاة عادية.. أليس كذلك؟

– أكرم لك أن تتزوّج واحدة من بنات عمومتك ، أو بنات أخوالك .

– الأكرم هو أن أتزوّج بمحض إرادتى ، لا طبقاً لتقاليد بالية .

– فعلتك هذه ستصم عائلتنا بالعار مدى الحياة .

– أى عار فى زواج شريف ؟ هل أنستكم عصبيتكم ما أحله الله (سبحانه وتعالى) .

– كفى مجادلات فلسفية .. إنك لن تتزوّجها مهما قلت أو فعلت .

– اطمئن .. ولتطمئن عائلتنا المتخلفة .. لقد رفض والدها هذا الزواج .

شحب وجه (أبو الوفا) عند هذه النقطة ، وتراجع وهو يصرخ فى غضب :

– رفض الزواج ؟

ثم انفجر كبركان ثائر ، وهو يستطرد :

– (إبراهيم الهوّارى) رفض زواجك من ابنته ؟ هل رأيت أى عار أسبغته على عائلتك ؟ .. أى هوان عرّضت نفسك له ؟.. القاهرة كلها تمتلئ بالجميلات ، صاحبات النسب والحسب ، ألم تجد وسطهن سوى ابنة هذا الهوّارى المغرور .

صرخ (حامد) ثائراً :

– كفى يا (أبو الوفا) .. من يراك تتحدث هكذا يظنك جاهلاً متخلفاً ، ألم تفدك دراستك الجامعية ؟.. ألم يهذّب بكالوريوس التجارة ، الذى حصلت عليه مشاعرك وأفكارك ؟

صاح (أبو الوفا) :

– إننا لا نحصل على هذه الشهادات الجامعية ، لننسلخ

عن بيئتنا وأرضنا أيها المتعلم ، إنها فقط تجعلنا أقوى وأكثر هيبة ، ولكنها لا تدفعنا لمخالفة تقاليدنا .

هتف (حامد) :

– بل المفروض أن تفعل ذلك .. إننى لا أطالب بتحطيم كل التقاليد ، ولكن بتنقيتها من كل ما يخالف العقل والمنطق والشريعة .

أمسك (أبو الوفا) بذراع شقيقه ، فى قوة آلمت هذا الأخير ، وقال فى صرامة :

– اسمع يا (حامد) .. لقد توليت تربيتك بعد وفاة والدنا – رحمه الله – ولم أبخل بشىء – أى شىء – لأجعل منك رجلاً ناضجاً ، ولكننى لم أتصوَّر يوماً أن تخالف تقاليدنا على هذا النحو .

أراد (حامد) أن يتكلم ، إلا أن شقيقه شدَّد من قبضته على ذراعه ، وهو يستطرد :

– حينما تلقيت خطابك كاد قلبى يتوقف من المفاجأة ، ولكننى لم أخبر أحداً من أشقائك وشقيقاتك ، بل فضَّلت أن أسرع إلى هنا وحدى لمنع هذه الفضيحة .

هتف (حامد) فى استنكار :

– فضيحة ؟!.. إن (راوية) أشرف مخلوقة على وجه الأرض ، وزواجى منها فخر لى .

انتزع (أبو الوفا) من ثيابه فجأة مسدساً ضخماً ، رفعه فى وجه (حامد) ، وقال :

– لن تجلب العار لعائلتك أبداً .. ولو أنك لم تتراجع عن فكرة الزواج من هذه الفتاة ، فلن يكون أمامى سوى قتلك.

فى هذه اللحظة بالذات ، وفى واحدة من مصادفات القدر ، كان (إبراهيم الهوارى) يقول لابنته العبارة ذاتها ، مما دفعها لأن تغمغم فى شحوب :

– تقتلنى يا أبتاه ؟!.. تقتل ابنتك لمجرَّد أنها تطالب بحقها الشرعى فى اختيار شريك حياتها .

هتف الوالد فى صرامة :

– نعم أقتلك ، وأحافظ على شرفى وكرامتى أمام العائلة.

انكمشت الأم فى مقعدها ، وهى تستمع إلى ذلك الحوار ، والحزن يعتصر قلبها ..

كانت تعلم أن زوجها لن يتراجع عن قراره ، وإن اضطرَّ لمحاربة العالم أجمع ..

منذ تزوَّجته وهى تعلم صرامته وقوَّته وعناده ..

كانت تعلم أنه على الرغم من إقامته فى القاهرة ، منذ كان فى الحادية عشرة من عمره ، إلا أنه ما زال يحتفظ بعقلية قومه ..

نفس عصبيتهم واعتزازهم بجنسهم وقوَّتهم ..

إصراره على إطلاق شاربه بهذه الصورة ، دليل على انتمائه الشديد لمسقط رأسه ..

كانت تعلم أن له عقلية راجحة ناضجة ، ولكنه كان دائماً دكتاتوراً فى منزله ..

لم تجرؤ هى يوماً على مناقشة أوامره ؛ لذا فقد أدهشها الموقف الذى تقفه ابنتها الآن فى مواجهته ..

أدهشها أكثر أنه كان يحتمل غضب ابنته ، ويواصل مناقشته معها ..

كانت (راوية) بادية الغضب ، وهى تقول :

ـ أنت تتحدث عن شرف العائلة وكرامتها ، وكأننى سأفر مع (حامد) .. إننا لم نخطئ .. إنه يتقدم لطلب الزواج منى بوسيلة شرعية سليمة .

مطَّ الوالد شفتيه ، وقال فى برود :

ـ لو أنه واحد من أبناء القاهرة ، ما رفضت زواجك

منه يا (راوية) ، ولكن كونه من أبناء بلدتنا ، ومن عائلة ، أخرى يجعل هذا الزواج مستحيلاً ..

ـ عجباً !!.. أنت تتحدث كما لو كانت هذه القبيلة الأخرى تدين بديانة مخالفة ، هل منع الله (سبحانه وتعالى) الزواج بين القبائل .

ـ منعته تقاليدنا .

ـ فلتذهب تقاليدنا إلى الجحيم لو أنها تخالف شرعنا وديننا .

عقد الوالد حاجبيه عند هذه النقطة ، وبدا وكأن شياطين الجحيم كلها تتقافز فى وجهه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لابد أن تتزوَّجى يا (راوية) ، وعلى وجه السرعة .

شحب وجهها وهى تغمغم :

ـ ماذا تعنى يا والدى؟

أجاب فى برود :

ـ أعنى أننى سأبحث لك منذ الغد ، عن زوج من الهوَّارة .

* * *

٥ ـ نار الحب ..

ذهب (حامد) إلى عمـله فى اليوم التالى ، وكذلك فعلت (راوية) .. والتقيا ..

ولكن لقاءهما هذه المرَّة كان مختلفاً ..

كان (حامد) شاحب الوجه ثقيل الخطا ..

وكانت (راوية) ذابلة واجمة ..

لم يتقابلا بابتسامة متلهفة هذه المرَّة ..

لم يتصافحا أو يتهامسا ..

جلس كل منهما فى مواجهة الآخر صامتاً ..

التقت عيونهما فى أسًى وعذاب ..

مضى وقت طويل قبل أن تهمس (راوية) فى ألم :

ـ ماذا نفعل ؟

أجابها (حامد) فى صوت نحيل كجسده :

ـ لست أدرى .

ترقرقت فى عينيها دمعة وهى تغمغم :

ـ لن نسمح لهم بتفريقنا .

هتف (حامد) :

ـ أريد أن أتزوَّجك يا (راوية) ، لن أحتمل فراقنا.

أطرقت بوجهها فى استسلام ، وهمست :

ـ وأنا أيضاً يا (حامد) .

ثم رفعت رأسها إليـه بغتة ، وقالت فى صرامة ، وكأنها قد اتخذت قرارها :

ـ دعنا نتزوَّج يا (حامد) .

حدَّق فى وجهها بدهشة ، وسألها :

ـ ماذا تعنين ؟

شملها حماس مفاجئ وهى تقول :

ـ لن تمنعنا تقاليد لا شأن لنا بها ، أنت تريدنى وأنا أريدك ، والزواج لا يحتاج إلا لموافقة الطرفين ، واثنين من الشهود .

هتف فى استنكار :

ـ هل تعنين أن نتزوَّج على الرغم منهم ؟

أربكها الاستنكار الواضح فى عبارته ، فغمغمت :

ـ هذا إذا كنت تريدنى حقًّا .

تأمل ملامحها لحظة فى حنان ، ثم قال :

ـ الزواج ليس مجرَّد شاهدين ، وورقة يكتبها مأذون

يا (راوية) .. إنه امتزاج بين رجل وامرأة .. امتزاج يشمل عائلتيهما .. إنه استقرار وأمان .. إنه نبع حبّ فى صحراء الحياة .

هتفت :

– هذا لو أن الحياة تسير وفقاً للقوانين التى وضعها خالقها ، لا حينما يظن البشر أنهم أكثر حكمة من خالقهم .

شعر بالحنان وهو يتأملها ، ولكنه قال :

– ينبغى أن نحاول أولاً .

سألته فى حنق :

– هل تتوقع شيئاً من المحاولة ؟

أجابها فى صوت لم يقنعه هو :

– ربما !

لوَّحت بكفها ، وقالت فى حنق :

– لو أنك تتصوَّر هذا فأنت واهم ، لن يغير الصعيد كله تقاليده من أجلنا ، هل تعلم ماذا أصاب الرجل ، الذى قرَّر عدم الاشتراك فى سباق الثأر بين عائلته ، وعائلة أخرى ؟.. لقد نبذه الجميع .. احتقرته عائلته ، وطردته من أرضها ، واحتقرته العائلة الأخرى بوصفه

جباناً ، خاف على نفسه من القتل .. استولى أشقاؤه على أرضه ، ولم يجرؤ على استعادتها .. لقد حطموه لمجرَّد أنه سلك السبيل الصحيحة ، ورفض تلك العادة البربرية .

استمع إليها فى هدوء ، ثم قال :

– هذا هو السبب نفسه ، الذى دفعنى لرفض فكرة الزواج ، على الرغم من رفض والدك .

مطَّت شفتيها غاضبة ، فأردف فى هدوء :

– هل لديك فكرة عما سيكون رد الفعل ، لو أننا فعلنا ذلك ؟

هتفت فى عناد :

– فليذهبوا إلى الجحيم .

استطرد وكأنه لم يسمع اعتراضها :

– سيقتلونك .

شحب وجهها ، وهى تحدق فى وجهه مغمغمة :

– يقتلوننى ؟!

أومأ برأسه مؤمِّناً ، وقال :

– هذا أول ما سيفعلونه ، ستعتبر كل عائلة منهما أننا قد أسبغنا عليها العار ، وستحاول كل منهما غسل عارها بالدم.

غمغمت وهى تحاول طرد الفكرة من رأسها :
– من المستحيل أن يقتلنى والدى .
أجاب فى حزن :
– ربما منعته رحمة الأبوّة من ذلك ، ولكن أشقاءه سيفعلون ، بل ربما قتلوه هو الآخر لو عارض ذلك .
أفزعتها فكرة مصرع والدها من أجلها ، فعاد اليأس يملأ أعماقها ، وهى تقول :
– ألا من فائدة إذن ؟
تأملها فى حنان جارف ..
فاض نبع الهوى فى أعماقه بحبها ..
ودَّ فى هذه اللحظة لو أنه أطاع رغبتها ، وتزوَّجا ..
لم يكن يخشى انتقام عائلته منه ، ولكنه يرتعد لفكرة أن يمس أحد أفراد عائلتها شعرة واحدة منها ..
كان حبه لها قد بلغ حدًّا ، يجعل حرمانه منها أفضل من عذابها معه فى رأيه ..
ساد الصمت بينهما طويلاً ، ثم تألقت فى رأسه فكرة مفاجئة .
عجب لنفسه ، كيف لم يفكر هكذا من قبل ..
هتف فى لهفة :

– أخبرينى يا (راوية) .. هل يرفض والدك زواجنا كمبدأ ، أم أنه يخشى ما سيترتب عن ذلك أمام عائلته ؟
تطلعت إليه (راوية) فى دهشة ، وأجابت :
– أعتقد أن خوفه من غضب عائلته هو السبب الرئيسى .
شملته موجة مفاجئة من الحماس ، وهو يقول :
– هذا عظيم ، فى هذه الحالة لدىَّ حل لمشكلتنا .
انسابت اللهفة إلى أعماقها مع فيض من الأمل وهى تسأله :
– ما هو ؟
ازدرد لعابه ، وكأنما جفَّف الانفعال ريقه ، وقال :
– كلانا مرشح لبعثة دراسية فى (لندن) مع نهاية العام الحالى ، ويمكننا أن نقنع والدك بالموافقة على زواجنا هناك ، حيث يمكننا الاستقرار والبحث عن عمل بعيداً عن تلك التقاليد .
تبدَّى الشك فى ملامحها ، وهى تقول :
– لا أعتقد أنه سيوافق على مثل هذه الفكرة .
هتف فى حماس :
– إنها محاولتنا الأخيرة يا (راوية) ، ولابد لنا من عرض الفكرة على والدك .

صمت لحظة ، ثم عاد يردف فى صوت خافت :

ـ من يدرى ؟.. ربما تحرَّكت مشاعر الأبوة وحنانها فى أعماقه ، ووافق على هذه الفكرة .

تطلعت إليه فى حيرة وتردُّد ..

كانت فكرة العيش دوماً خارج مصر تضايقها ، ولم تكن تتوقع أن يوافق والدها بعناده وصرامته على مثل هذه الفكرة ..

شعرت أنها لن تجرؤ حتى على عرض الفكرة عليه ، ولكن حبها لـ (حامد) كان أكبر من تردُّدها وخوفها ، فقالت فى حزم :

ـ ليكن .. لن يضيرنا عرض الفكرة على الأقل .

استمع إليها والدها فى جمود وهى تشرح فكرة (حامد)..

لم يحاول مقاطعتها مرة واحدة وهى تتكلم ..

انتظر حتى انتهت ، ثم قال فى برود :

ـ هذا أحمق حديث استمعت إليه فى حياتى .

قالت (راوية) فى إصرار :

ـ إنها الفكرة الوحيدة لمحاربة تلك التقاليد البالية و....

انفجر والدها فجأة :

ـ كفى .

ارتجف جسدها وهى تحدِّق فى وجه والدها ، الذى تحوَّل فجأة من البرود إلى الثورة وهو يصرخ فى وجهها :

ـ يبدو أننى قد أخطأت بالاستماع إليك منذ البداية ، هأنتذى تأتينى بفكرة حقيرة خرقاء ، تكلِّلنى بالعار ما بقى لى من العمر.

غمغمت فى ضعف :

ـ أبى ..

لم يبال بالألم الرَّنان فى صوتها ، وهو يواصل صراخه الغاضب :

ـ أى ابنة هذه ، التى تطلب من أبيها الموافقة على فرارها مع حبيبها إلى بلد آخر ؟.. هل تريدين منى أن أزوِّج ابنتى الوحيدة على هذا النحو ، كما لو كانت ساقطة أو خاطئة تتستَّر على زواجها ..

تراجعت وانكمشت فى مقعدها أمام ثورته العارمة ، وهو يستطرد :

ـ إننى أرفض هذا الزواج ، وأقف فى وجهه .. إننى أرفض أن تجبرنى ابنتى على مخالفة تقاليدى ، وإلباسى ثوب العار فى حياتى ..

ارتعدت (راوية) أمام الغضب الهائل المرتسم على وجه والدها ، وهو يقترب منها قائلاً :

- ليس هناك سوى سبيل واحدة لإنهاء هذه المهزلة.

ثم انتصب ، وعقد ذراعيه خلف ظهره ، وجاء صوته بالغ القسوة ، وهو يقول :

- سنسافر الآن إلى (دشنا) ، وستتزوَّجين ابن أخى الخميس القادم .

صاحت فى ذعر :

- كلاّ يا أبى .

صرخ فى صرامة :

- إننى لا أطلب رأيك ، لقد سبق لعمك أن طلبك لابنه ، ولكننى احترمت رأيك حينذاك ، وطلبت منه تأجيل الأمر ، أما الآن فسأطلب منه أن يتمّ الزواج على وجه السرعة .

تفجرت دموعها تلهب خديها بنار العذاب ، وهى تقول فى توسُّل :

- لا تفعل بى هذا يا أبتاه .

حسم والدها النقاش فى صرامة :

- ستتزوجين ابن عمك ، أو أقتلك بيدىَّ هاتين .

* * *

٦ - لبيك حبيبتى ..

لم يذق (حامد) طعم النوم هذه الليلة ، حاول ولكنه لم يستطع ..

ظل طول الليل يفكر فيما سيفعله والد (راوية)، عندما تخبره باقتراحه ..

كان مقتنعاً تماماً بهذا الاقتراح ، عندما أخبر به (راوية) فى الصباح ، أما الآن وقد رقد وحده فى فراشه، وسط صمت الليل وهدوئه ، فقد بدا له الاقتراح نفسه شديد السخف ..

لو أنه فى مكان والد (راوية) لرفضه على الفور ، ولعن من اقترحه ..

أقلقته هذه الفكرة حتى أنه نهض من فراشه ، وأخذ يروح ويجىء فى توتر بالغ ، داخل حجرة نومه ..

ودّ فى هذه اللحظة لو استطاع أن يذهب إلى (راوية)، ويعتذر لها عن اقتراحه الأحمق ..

انتابه شعور عميق بالذنب ، وتمنى لو أنها خافت أن تخبر أبيها بالأمر ..

ظل الشعور بالقلق والندم يراوده حتى ذهب إلى المعمل فى الصباح التالى ..

بحثت عيناه عنها طويلاً ، وارتجف قلبه حينما تأخرت لأول مرة عن موعد حضورها ..

مضت به الدقائق كالدهر ، طويلة بطيئة حتى انتصف النهار ، ومع كل دقيقة تمرّ كان شعوره بالذنب يتضاعف ، وقلقه يتعاظم ..

لم يستطع الاحتمال عندما دقت الساعة تمام الثانية عشرة ظهراً ، فحصل على إذن بالانصراف مبكراً ، وأسرع إلى منزل (راوية) ..

صوَّر له جزعه وهو فى طريقه إلى منزلها أن والدها قد قتلها ، حينما أخبرته بما ينتويان ..

دقَّ قلبه فى عنف وهو يتصوَّر ذلك ..

لم يعد يخشى غضب والدها .. لم يعد يهاب ثورته ..

أنساه قلقه على (راوية) كل شىء فى هذا العالم ..

شعر فى أعماقه بثورة على التقاليد البالية ، والعصبية القاتلة ..

قفز من سيارة الأجرة التى أقلته إلى أمام منزلها تماماً ،

وصعد إلى منزلها قفزاً ، وتصاعدت ضربات قلبه وهو يدق باب منزلها .

عاود دقَّ الباب أكثر من مرة دون أن يتلقى جواباً ، فتحوَّل قلقه إلى هلع ، وانقلب قلقه إلى رعب ، وأسرع إلى بوَّاب المنزل يسأله :

– أليس هناك من أحد فى منزل الأستاذ (إبراهيم الهوَّارى) ؟

أجابه البوَّاب فى خمول :

– لقد سافروا أمس يا سيِّدى .

عاد يسأله فى عصبية :

– سافروا إلى أين ؟

أجابه البوَّاب بنفس الخمول :

– لست أدرى .. لم يخبرنى أحد .

ثم رفع إليه عينيه الباردتين ، وسأله :

– ما اسم سيادتك ؟

أجابه (حامد) فى يأس :

– (حامد الليثى) .

ابتسم البوَّاب ابتسامة واهنة ، وهو يقول :

- آه .. لقد تركت لك السيدة الصغيرة خطاباً .

هتف (حامد) فى لهفة :

- أين هو ؟

أخرج البواب الخطاب من جيبه فى بطء وتراخ ، وقال وهو يغمز بعينه فى إشارة ذات معنى :

- هاهو ذا .. لقد أعطتنى السيدة الصغيرة إيّاه سرًّا ، وطلبت منى تسليمه لك عندما ....

اختطف (حامد) الخطاب فى لهفة ، دون أن يبالى بسماع باقى عبارة البواب الخبيثة ..

أفكار شتى تصارعت فى رأسه ، فى اللحظة القصيرة التى مضت بين تناوله الخطاب ، وفضّه لغلافه ..

كانت هذه هى المرّة الأولى التى يتلقى فيها خطاباً من (راوية) ..

حتى فى أيام الإجازات ، التى كانت تفرقهما طويلاً أيام الدراسة ، لم ترسل إليه أية خطابات ..

أمسك الخطاب بأصابع مرتجفة ، والتهم كلماته فى لهفة وقلق ..

كانت (راوية) تقول فى خطابها :

« حبيبى (حامد) :

لست أدرى كيف أخبرك بهذا الأمر ، فأنا لم أفق بعد من دهشتى ، وصدمتى .. لقد اختلست لحظات قصاراً لأكتب لك هذا الخطاب فى سرعة ، لقد أصرَّ والدى على سفرنا فوراً إلى (دشنا) ، بعد أن رفض اقتراحك رفضاً عنيفاً ، هل تدرى لماذا نسافر إلى هناك ؟. لأن والدى قرَّر أن يزوِّجنى لابن عمى .. لقد صدمك الخبر بالطبع .. أنا أيضاً شعرت بالذهول وأنا أسمع هذا منه ، فالأمر يبدو أشبه بفيلم هابط من أفلام الدرجة الثالثة ، ولكنه فى هذه المرة حقيقة .. حقيقة أن ترغم فتاة حاصلة على بكالوريوس الصيدلة بتقدير امتياز ، وتعمل عضوة هيئة تدريس فى الجامعة ، على الزواج من رجل ، لم تره مرة واحدة فى حياتها بأكملها .. هل يصدق أحد أن يحدث هذا فى القرن العشرين ؟.. هل يصدق إنسان أن تنتهى قصة حب عظيمة كقصتنا على هذا النحو السخيف ؟

حبيبى ..

وداعاً يا أول وآخر من أحببت .. وداعاً يا حلم حياتى .. وداعاً يا آمالى وأحلامى .. لا تحاول التدخل فى هذا الأمر ، فلو أنك وطئت أرض (دشنا)، فستصبح كمن يلقى بنفسه فى فم الأسد ، وأنا لا أحبُّ أن يلقى حبيبى حتفه برصاصة غادرة ، تنطلق من وسط الحقول ، استجابة لتقاليد سخيفة ، نبذها العالم أجمع منذ غادر العالم عصور التخلف ، وارتضى العيش فى مجتمعات متمدينة ..

وداعاً يا حبى .. وداعاً إلى الأبد» . (راوية)

شحب وجه (حامد) وهو يقرأ الخطاب ، وترددت فى عقله كلمة واحدة ..

مستحيل أن يحدث هذا .. مستحيل أن يفقد حبيبته هكذا ..

كان يدرك خوفها عليه ، ورغبتها فى تجنيبه المخاطر ، ولكنه لمح فى خطابها نداءً لم تفصح عنه الكلمات ..

نداء يتوسل إليه أن يسعى لإنقاذها من هذا العذاب اللانهائى ..

صرخ فى أعماقه :

– لبيك حبيبتى .. لبيك يا أمل حياتى ، يا نبع حبى الصافى .

ظلت هذه الصرخة تعربد فى أعماقه ، والقطار ينهب به الأرض إلى (دشنا) ..

صرخة تصاعدت وهو يقترب من هدفه ، بعد اثنتى عشرة ساعة من السفر المتواصل ..

لم تتوقف الصرخة فى أعماقه ، وهو يخطو بقدميه على أرض بلده ، ولا هو يسير فى سرعة نحو منزله ..

استقبله شقيقه (أبو الوفا) فى سعادة ، واحتضنه وهو يهتف فى فرح أخوىّ صادق :

– مرحباً بك فى دارك يا شقيقى العزيز ..

التف إخوته حوله يعانقونه ويصافحونه ، وهو شارد الفكر ، والانتباه ، إلى أن قال لأخيه الأكبر فى لهجة توحى بخطورة الأمر :

– أريد أن أتحدث إليك وحدنا يا (أبا الوفا) .

نظرة صارمة واحدة من عينى (أبى الوفا) ، خلت بعدها قاعة المنزل تماماً ، إلا منه ، ومن (حامد) ، ثم استدار (أبو الوفا) إلى شقيقه وسأله :

– حسناً يا (حامد) .. ماذا تريد ؟

سأله (حامد) فى اهتمام ولهفة :

– أين منزل عائلة (إبراهيم الهوَّارى) ؟
ظهرت الصرامة فى وجه (أبى الوفا) ، وقال فى حنق :
– هذاما أتى بك إذن ؟.. لماذا ترغب فى زيارة هؤلاء الحثالة ؟
عاد (حامد) يسأل شقيقه فى صرامة مماثلة :
– أين يقيمون يا (أبا الوفا) ؟
صاح (أبو الوفا) فى غضب :
– ماذا تريد منهم ؟.. هل سترجوهم أن يتوسطوا لك عند (إبراهيم الهوارى)، ليقبل زواجك من ابنته ، أم ... ؟
بتر (أبو الوفا) عبارته فجأة ، واتسعت عيناه وهو يستطرد فى جزع :
– أم أن (إبراهيم الهوارى) قد جاء بابنته إلى هنا ؟
قال (حامد) فى لهجة أقرب إلى الضراعة :
– أرجوك يا (أبو الوفا)، سيزوِّجونها ابن عمها لو لم...
قاطعه (أبا الوفا) فى حدَّة :
– لو لم ماذا ؟.. هل ستتوسل إليهم ألا يفعلوا ؟
صاح (حامد) فى غضب :
– هل تريد منى أن أقف ساكناً وأتركهم يزوِّجونها إياه.

أشاح (أبو الوفا) بوجهه ، قائلا :
– ابن عمها أجدر بها .
ارتعد جسد (حامد) من شدة الغضب وهو يصيح :
– أليس لك قلب ؟.. ألا تدرى ما هو الحبّ ؟
استدار إليه (أبو الوفا) ، وقال فى صرامة غاضبة :
– بل أعرفه أيها الأخ العاق.. أعرفه؛ لأننى أحبك ، وأحبّ عائلتى ، وأحبّ لها دوماً العزة والكرامة ، ولا مبرر لكل ما أفعله سوى الحب ، فأنا أشفق عليك أن تحمل هذا العار فوق كتفيك ، وأن تحمل عائلتك مثله .. لقد تربيت أنت فى القاهرة منذ نعومة أظفارك ، ولا يمكنك أن تقدِّر عواقب العمل الذى تزمع الإقدام عليه .. إن (إبراهيم الهوَّارى) لن يزوجك ابنته ، ولو أعطيته أموال الدنيا مهراً لها ، وحتى لو فعل،ستنبذه عائلته ككلب أجرب ، ولن يجرؤ واحد منا على رفع وجهه فى وجه أى من أفراد عائلتنا ، سيكللوننا بالعار ، ما لم نقتلك حتى تعود رءوسنا للارتفاع مرة أخرى .. هل تحبّ أن ينتهى الأمر على هذه الصورة ؟

صاح (حامد) فى عناد :
– لست مسئولا عن تمسككم بتقاليد بالية .
هتف (أبو الوفا) فى غضب :
– أنت مسئول ما دمت تحمل لقب العائلة .
– سأنتزع هذا اللقب يا (أبا الوفا) .. هل يرضيك ذلك ؟
– سأقتلك لو فعلت ، أتتبرَّأ من عائلتك من أجل امرأة ؟
– ألا يمكنك أن تتصوَّر أن تزويجها على هذه الصورة ، يعد جريمة اجتماعية ودينية ؟
– الهوَّارة هم المسئولون عن هذه الجريمة ، لا نحن .
– وأنا لن أقف ساكناً .. سأنقذها من هذه الهوَّة مهما كان الثمن .
انتزع (أبو الوفا) مسدسه الضخم ، الذى يحمله دوماً ، وشهره فى وجه شقيقه ، وهو يقول فى صرامة :
– سأقتلك لو لم تتراجع عن حماقتك هذه .
صاح (حامد) وهو يواجه شقيقه فى شجاعة :
– افعل يا (أبا الوفا) .. أنك لن ترهبنى هذه المرَّة ،

فخير لى أن أريق دمى وأنا أحاول إنقاذ من أحببت ، من أن أقف ساكناً حتى أراها وهى تساق إلى مذبحة التقاليد البالية .
أُرْتِجَ على (أبى الوفا) وهو يرى هذا الموقف الصلب من شقيقه ..
لم يكن يتوقع يوماً أن يقف منه شقيقه الأصغر موقف المعاند المتحدّى ..
كشف فى هذه اللحظة أن الدم الذى يجرى فى عروقه ، هو نفسه الذى يرغب فى إراقته من جسد أخيه ..
كشف أنه لن يجرؤ على إطلاق النار ، فخفض مسدسه ، وقال فى غضب :
– لو ذهبت إلى هناك ، فلا تعد إلى هذا البيت مرة ثانية .
قال (حامد) فى صرامة :
– حسناً يا (أبا الوفا) .. إننى أقبل هذه الصفقة .
قال عبارته فى حزم ، ثم غادر منزل عائلته ، وانطلق يبحث عن منزل عائلة حبيبته ، وفى صدره تردَّدت الصرخة ذاتها :
– لبيك حبيبتى .. لبيك .

* * *

٧ ـ المواجهـة ..

يا لهذا النعاس السخيف !!

لقد بدأ يتسلل إلى أجفانى قبل أن أنتهى من قصتى .. لابدَّ لى من أن أسرع فى كتابة ما تبقى من القصة ، قبل أن أعجز عن حمل قلمى ، وخطّ ما بقى من الحكاية ..

لم تكن (راوية) تعلم شيئاً عن وصول (حامد) إلى (دشنا) ..

كانت حبيسة هناك مع نساء العائلة ، حيث لا يصرح للرجال برؤيتهن ، أو التحدث إليهنّ ..

هل أدهشكم هذا ؟.. إنه الحقيقة للأسف ، فالهوَّارة يختلفون عن سائر القبائل الأخرى فى صعيد مصر فى هذه النقطة بالذات ..

إنهم يفرضون على نسائهم عزلة كاملة ، من المهد إلى اللحد ..

المرأة عندهم عار لابدَّ من إخفائه ..

قد يقضى الرجل عمره كله دون أن يرى زوجة شقيقه أو بناته ..

والعجيب فيهم أن هذه القيود تختفى تماماً خارج بلدهم.

تماماً كما حدث مع (إبراهيم الهوَّارى) ، فإقامته فى القاهرة تمنحه امتيازاً خاصًّا .. فباستطاعته أن يلحق ابنته بالمدارس ، وأن يسمح لها بالخروج والتَّجوال والعمل، ولكن هذا محظور عليها تماماً لو وطئت بقدمها أرض بلدتها ..

منطق عجيب ، ولكنها التقاليد مرة أخرى ..

عاشت (راوية) يوماً كاملاً وهى تتأمل نساء الهوارة فى ذعر ..

انكمشت تماماً، وهى تتصوَّر نفسها تحيا فى هذا السجن الأبدى ..

وكان لهذا اليوم عليها تأثير عجيب..

لقـد نحلت كثيراً ، وذبل بريقها تماماً ، كزهرة انتزعت من منبتها ، وألقى بهـا تحت شمس محرقة ، فى صحراء جرداء ..

أمها أيضاً أصابها الكثير من الجزع والألم والحزن ، ولكنها لم تجرؤ على الاعتراض ..

لم تجد فيه أملاً أو جدوى ، فلزمت الصمت والعزلة ، وقلبها يتمزَّق حزناً لما أصاب ابنتها ..

عاشت (راوية) يوماً ذاقت فيه العذاب ألواناً ..

عذاب النفس والروح والجسد ..

لم تتصوَّر أن تحيا العمر كله فى هذا العذاب .. إلا إذا كان العمر قصيراً ..

سيطرت عليها فكرة العمر القصير ، وملكت مشاعرها وتفكيرها ، دون أن تدرى أن والدها كان يستقبل حبيبها فى اللحظة ذاتها ..

كانت المواجهة عجيبة هذه المرَّة ..

عجيبة ، ومذهلة للجميع ..

كانت المرَّة الأولى ، التى يزور فيها واحد من أبناء عائلة (الليثى) منزل عائلة (الهوَّارى) ..

ولكن تقاليد الصعيد ، كانت تقتضى أن يقابل (حامد) بترحاب شديد ، وحفاوة بالغة فى منزل عائلة (الهوَّارى)..

هذا هو الجزء الحسن من تقاليد الصعيد، فليست هى كلها بالية ، أو سخيفة ..

الرجل فى الصعيد يمكنه أن يطرق منزل خصمه ، ويجلس فيه معزَّزاً مكرماً ، حتى وإن كان بينهما ثأر ودم .

يمكنه أن يقيم أيضاً لثلاث ليال ، وينام ملء جفنيه فى منزل خصمه .. والأعجب أن هذا الخصم نفسه يحمل إليه الطعام والشراب ، بل يحميه من كل ما يمكن أن يسىء إليه حتى ينصرف من عنده ، ثم قد يقتله فى اليوم التالى بلا رحمة ، لتحقيق الثأر بينهما ..

هذه التقاليد أيضاً موجودة فى الصعيد ، إلى جوار التقاليد الأخرى ..

وهكذا استقبل (إبراهيم الهوَّارى) (حامد) فى ترحاب وحفاوة، وإن لم يستطع إخفاء دهشته لهذه الزيارة، وأطاع الجميع مطلب (حامد) ، حينما طلب الاختلاء بـ (إبراهيم) ، وما أن تحققت لهما الخلوة ، حتى قال (حامد) :

— إننى أتقدَّم لك مرة أخرى بطلب يد ابنتك ياسيِّدى.

أجابه (إبراهيم) فى برود :

— يؤسفنى أن أرفض يا ولدى ، لقد خطبت (راوية) لابن عمها ، وسيتم زفافهما بعد ثلاثة أيام .

هتف (حامد) فى ضراعة :

– ولكن هـذا يخالف رغبتهـا يا سيِّدى ، والشرع نفسه يقتضى موافقة الزوجة .

أجاب الرجل فى هدوء :

– بل هى موافقة .

عقد (حامد) حاجبيه ، وقال فى عناد :

– لابدَّ أن اسمع هذا منها .

ظهر الغضب على وجه الأب ، وقال فى صرامة :

– ليس هذا من حقـِّك ، ونساء الهوَّارة لا يقابلن أحداً .

نسى (حامد) أنه داخل منزل الهوَّارة ..

نسى الخصومة الدائمة بين عائلته وعائلتهم ..

كان حبـه لـ (راوية) أكبر من أن يستسلم للخوف أو الحذر ، فقال فى عناد وإصرار :

– لن يكون هذا الزواج شرعيًّا ، ما لم توافق هى ، ولن أتوقف عن محاولة طلب زواجها ، إلا إذا سمعت موافقتها على الزواج من ابن عمها بأذنىَّ .

تأمله الوالد لحظة فى غضب ، ثم فتل شاربه الضخم ، وقال فى هدوء :

– ليكن .. ولكنك ستسمعها من خلف ستار .

قال (حامد) فى إصرار :

– حسناً ، فلن أخطئْ صوتها ..

نهض الوالد ، وقال فى صرامة :

– انتظر هنا إذن .

دهشت (راوية) حينما طلب والدها رؤيتها ، ولكنها أطاعت ، وذهبت إليه فى حجرته صاغرة مستسلمة ، واستقبلها هو ببرود كانت تتوقعه ، ولكنها لم تكن تتوقع عبارته الأولى ، والتى ارتجف لها جسدها ، عندما قال :

– (حامد) هنا .

ظلت تحدِّق فى وجه أبيهـا لحظـة ، ثم غمغمت فى صوت متحشرج ، لم تستطع إخفاء رنة السعادة منه :

– هنا فى (دشنا) ؟!

أجابها والدها فى صرامة :

– بل هنا فى المنزل .

رقص قلبها طرباً ، وهى تقول :

– هل جاء إلى هنا ؟

أجابها الوالد مرة ثانية فى صرامة :

ـ جاء يطلب يدك .

لم تصدّق كلمات والدها فى البداية ، ثم اختلج قلبها بين ضلوعها فى سعادة ، لم تعرف مثيلاً لها من قبل ..

هل بلغ حبّ (حامد) لها هذا الحدّ ؟..

هل بلغت لهفته إليها حد أن يخاطر بولوج منزلها ، وطلب يدها وسط الهوارة ؟..

كم شعرت بحبها له هذه المرّة !!..

كم شعرت بفيض الحبّ الذى يكنه لها !!..

ولكن سعادتها لم تدم ، وفرحتها لم تكتمل ، حينما قال والدها فى صرامة :

ـ ستأتين معى ، وتخبرينه أنك ترفضينه ، وأنك تتمسكين بابن عمك زوجاً .

اتسعت عيناها ذهولاً ، وهتفت فى جزع :

ـ ماذا تقول يا أبتاه ؟

اقترب والدها منها ، ووضع كفه على كتفها الرقيق ، وقال فى هدوء :

ـ استمعى إلى يا ابنتى .. إن ما أطلبه منك هو الحل الوحيد ، الذى يضمن بقاء (حامد) على قيد الحياة .

شهقت فى ذعر وهى تهتف :

ـ ماذا تعنى يا أبى ؟

أجابها فى حنان بدا لها طبيعيًّا :

ـ ألا تعلمين تقاليد الهوّارة يا بنيتى ؟.. لو أن (حامد) أصرَّ على الزواج منك ، فسيقتله أبناء عمومتك .. لن يسمحوا له بالبقاء على قيد الحياة ، فطلبه الزواج منك سيعد فى نظرهم جريمة لا تغتفر ، وأنا أحاول الحفاظ عليكما معاً .

انسالت دموع الألم من عينيها غزيرة ، وهى تغمغم :

ـ لماذا نبيع سعادتنا بسبب تقاليد كهذه يا أبتاه ؟

أجابها فى حزن مماثل :

ـ هذا قدرنا يا بنيتى .

صرخت فى ألم :

ـ كلا يا أبى ، لا تلم القدر ، فلا دخل له فيما نفعل .. نحن وحدنا الملومون .

ربّت الأب على كتف ابنته فى حنان ، وقال فى صوت خافت :

ـ هيّا بنا يا بنيتى .

سارت إلى جواره كشاة تقاد إلى المذبح ..
لم تشعر بجسدها وهى تقف خلف باب دار الضيافة ..
بكت كثيراً وهى تسمع (حامد) يسأل أباها فى لهفة :
ـ هل أحضرتها ؟
أجابه الوالد فى برود :
ـ إنها خلف الباب ، يمكنك التحدُّث إليها ، ولكن حذار أن تحاول رؤيتها ..
اقترب (حامد) من الباب وهو يرتعد انفعالاً ..
كان متلهفاً لسماع صوتها ، ومداعبة أذنيه به ..
اقترب وهو يرتعد من فرط الانفعال ، وغمغم فى لهفة :
ـ كيف حالك يا (راوية) ؟
جاءه صوتها الناعم الرقيق محملاً بالأحزان ، وهى تقول :
ـ فى خير حال يا (حامد) .. كيف حالك أنت ؟
زمجر الوالد ، وهو يقول فى صرامة :
ـ لسنا هنا لتبادل التحيات ، سلها ما تريد فى سرعة .
ازدرد (حامد) لعابه لحظة ، ثم سألها :
ـ هل توافقين على الزواج من ابن عمك يا (راوية)؟
اختنقت الكلمات فى حلقها طويلاً ..

تصوَّرت لحظة أنها لن تقدر على نطق هذه الكلمة ، التى ستحطم قلبه حتماً ، ولكنها لم تلبث أن تخيلت صورته قتيلاً ، يروى بدمه قصة حبهما ، فقالت فى نفسها :
ـ سامحنى يا حبيبى .. إنما أفعل ما أفعل من أجلك .
ثم استجمعت حروف الكلمة ، وقالت فى صوت مختنق :
ـ نعم أوافق يا (حامد) .
تراجع (حامد) فى ذهول ، وهتف فى جزع :
ـ لا ريب أنهم قد أكرهوك على هـذا القـول .. أخبرينى الحقيقة يا (راوية) .
اختنق صوتها بالبكاء وهى تهتف :
ـ بل أوافق بمحض إرادتى يا (حامد) ، أقسم لك أننى لا أكذب .. وداعاً يا (حامد) .. وداعاً ..
وفى صدرها صرخ الحبّ الجريح :
ـ وداعاً يا حبيبى .. وداعاً .

* * *

٨ ـ الذبيحة ..

ثلاثة أيام مرّت منذ ذلك الحدث ..

ثلاثة أيام شعر فيها (حامد) بحزن لم يشعر بمثله من قبل ، وانفطر فيها قلبه، حتى خيل إليه أنه لم يعد ينبض بين ضلوعه ..

جفّ نبع الحبّ فى أعماقه ، ولكن الكراهية لم تعرف طريقها إلى قلبه أبداً ..

ما زال يذكر تلك اللحظة التى غادر فيها منزل عائلة (الهوّارى) ، خائباً مدحوراً ..

كان يسير يومئذ كذبيح سالت دماؤه ، ولم يعد لديه سوى انتفاضة الموت الأخيرة ..

سار على غير هدى ، فقادته قدماه إلى محطة القطارات ..

كان يعلم أنه لم يعد أمامه سوى العودة إلى القاهرة ، بعد أن استسلمت حبيبته لقدرها ، ولم يعد من حقه العودة إلى منزل عائلته ، طبقاً للاتفاق التى أجراه مع شقيقه (أبى الوفا) ..

كانت مفاجأته التالية، هى أنه وجد (أبا الوفا) ينتظره على رصيف المحطة ..

لم تفقد عينا (أبى الوفا) صرامتهما ، وإن خلت كلماته منها ..

لقد استقبله فى هدوء ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

ـ هيّا نعد إلى المنزل يا (حامد) .

حدّق (حامد) فى وجه أخيه يومئذ بذهول ، وغمغم :

ـ ألم نتفق على ...؟

قاطعه شقيقه فى برود :

ـ لقد كشفت أن الدماء التى تجرى فى عروقنا تمنعنى من الإساءة إليك ، ثم إن (إبراهيم الهوّارى) سيحتفظ حتماً بالأمر سرّاً .

ثم أردف وهو يقود (حامد) فى هدوء :

ـ ومنزل عائلتك هو المكان المناسب لك الآن ..

حكمة بالغة ، تلك التى دفعت (أبا الوفا) إلى هذا الإجراء ..

لقد احتفظ برغبة أخيه سرّاً عن الجميع ؛ لأنه كان يعلم ما سينتهى إليه الأمر ..

كانت ثقته بالتقاليد لا حدّ لها ، حتى أن استنتاج النتائج لم يعد بالأمر العسير بالنسبة إليه ..

ثم إنه كان يخشى عودة (حامد) إلى منزله الخالى ، وهو يحمل فى قلبه كل هذا الحزن والفشل ..

هداه عقـلـه إلى أن أفضل وسيلة لمنع (حامد) من الإقدام على أى تصرُّف أحمق ، هى أن يبقيه أمام عينيه ..

كان يتصوَّر أنه سينجح فى إخراج (راوية) من قلب (حامد) ، بإحاطته بكل وسائل الراحة والتسلية ..

ولكنه لم ينجح ..

إن (حامد) لم ينس (راوية) لحظة واحدة، طيلة هذه الأيام الثلاثة ..

لم ينسها حتى وهو يقف فى شرفة منزل عائلتـه ، ويتأمل فى حزن مستسلم ، تلك الأضواء الملوَّنة ، التى ازدان بهـا منزل عائلة (الهوَّارى) ، ولا تلك الأصوات المرحة ، والموسيقى المتصاعدة هنـاك ، احتفالاً بزفاف (راوية) إلى ابن عمها ..

(راوية) .. ذلك الحبّ العظيم ، الذى ارتوت بـه حياته لستة أعوام كاملة ..

ذلك النبع الذى أفاض فى قلبه الحبّ والحنان والراحة ، منذ التقى بها لأول مرة ..

تساءل فى غضب عن قوة هذه التقاليد ، التى تحكم حياة البشر ، بعيداً عن العقل والعاطفة والحياة .

انتابته فى تلك اللحظة رغبة قوية فى التخلُّص من حياته..

كان يشعر أن (راوية) تسـاق كالذبيحة إلى قدر ترفضه ، وحياة تأباها ..

لم يكن هذا شعوره وحده فى هذه اللحظة ..

كان شعورها أيضاً ..

كانت تجلس صامتة واجمة ، لا تسمع تلك الزغاريد التى انطلقت حولهـا من أفواه نساء العائلة ، ولم تشعر بالفتيات اللاتى يعدِدْنها ويزيِّنَّها لزوجها المقبل ..

لم تر حتى وجهها فى المرآة، التى أجلسوها أمامها وهم يفعلون ..

كانت تعلم أن هذه الليلة ليست ليلة فرحها ، وإنما هى ليلة زفافها إلى السماء ..

هذا هو قرارها الذى اتخذته، والذى نفَّذته منذ لحظات.

لقد قرَّرت ألا يمسها رجل غير (حامد) ..

قرَّرت ألا تكون إلا له ، أو للموت ..

اتخذت قرارها فى حزم ، ونفَّذته أيضاً ..

لا أحد ممن حولها كان يعلم بقرارها ..

لا أحـد منهنّ كان يتصوَّر أنها فى هذه اللحظة تخطو نحو الموت ..

كنّ يتصوَّرن وجومها وشرودها يعـودان إلى ذلك القلق الطبيعى ، الذى ينتاب العروس ليلة زفافها ..

عجائز الأسرة وحدهن لاحظن أن هذا القلق غير طبيعى ، فمالت إحداهن على أذن الأخرى ، وسألتها :

– ألا تلاحظين أن العروس حزينة ، لا ينبض قلبها بنبضة سعادة واحدة ؟

أجابتها الأخرى ، بعـد أن مطّت شفتيها ، على نحو يوحى بعدم تقبلها لتصرُّفات فتيات القاهرة :

– يبدو أن العريس لم يحز رضاها .

خبطت الأولى على صدرها ، وهى تقول فى استنكار ، يخفى لهفتها لمعرفة المزيد :

– لم يحز رضاها ؟!.. وهـل ستجد من هو أفضل من ابن عمها ؟

أصدرت الثانيـة صوتاً ممطوطاً من بين شفتيها ، يوحى بالاستنكار ، وعادت تقول :

– هكذا فتيات القاهرة .. تصوَّرى أنهنّ يطلبن رؤية العريس قبل الزواج .

هتفت الأولى فى استنكار شديد :

– يا إلهى !!.. يا للعار !!

ثم عادت تميل نحو الثانية ، وتهمس :

– هل هذا وحده سبب شحوبها ؟

مطّت الثانية شفتيها ، وقالت :

– كلا .. يبـدو أنها مريضة بعض الشىء ، فقد أرسلت صبيًّا صغيراً ، ليبتاع لها بعض الأدوية من صيدلية المدينة منذ قليل .

قالت الأولى فى تفهم :

– هذا إذن ما تناولته منذ لحظات .

أومأت الثانية برأسها موافقة ، وكادت تنطق بعبارة استنكارية جديدة ، لولا أن ارتفع صوت طلقات نارية فى السماء ، فجاوبتها النساء بزغاريد الفرح ، وهمست العجوز لجارتها :

– لقد وصل المأذون .

أرجفت العبارة قلب (راوية) ، وأسقطته بين قدميها ..

كانت تعلم أنها ستلقى ربها بعد وقت قصير ، ولكنها كانت تخشى أن يتمّ المأذون عقد الزواج قبل أن تموت ..

كانت تخشى أن تموت وهى زوجة رجل آخر ، غير حبيبها (حامد) ..

وجدت نفسها تبتهل إلى الله (سبحانه وتعالى) أن يسرع بموتها ..

ومن العجيب أنها قد شعرت بالارتياح ، حينما بدأ رأسها يثقل ، وبدأت الرؤية تهتز أمام عينيها ..

عادت زغاريد النساء ترتفع ، حينما ولج اثنان من أعمامها قاعة النساء ؛ ليسألاها موافقتها على الزواج ، كما يقضى الشرع ..

خيل إليها فى هذه اللحظة أنهما سفيران لملك الموت ، جاءا ليشهدا زفافها إلى السماء ..

وقف الاثنان أمامها مبتسمين ، وسألها عمها الأكبر فى صرامة :

– هل توافقين على الزواج ؟

بدت صورته أمامها مهتزة ، مظلمة ..

ماذا أصاب هذا العالم ؟..

أيسألونها الموافقة على الزواج ، من رجل لا تعرف حتى اسمه ؟..

هل هان قدرها إلى هذا الحدّ ؟..

طال صمتها ، فاختفت الابتسامة من وجهيهما ، وعاد عمها يسألها ، وقد اشتدت صرامته :

– أجيبى .. هل تقبلين الزواج ؟

هتف استنكار فى أعماقها ..

لن أقبل الزاوج .. بل لن أقبل الحياة كلها ..

نهضت فى بطء ، وكأنها تأبى أن تموت متخاذلة ، ولكن ساقاها عجزتا عن حملها ، فتهاوت فجأة تحت قدمى عميها ..

تحوّلت زغاريد الفرح فجأة إلى صرخات جزع ، وارتجف قلب (حامد) وهو يسمع ذلك الصراخ ، وتساءل فى ذعر عما حدث ، ولم يطل تساؤله .. فالأخبار تنطلق وتنتشر بسرعة فى الأرياف ..

قبل أن تمضى خمس دقائق ، هبط عليه الخبر كالصاعقة :

– لقد انتحرت العروس .

* * *

خلت مستشفى (دشنا) من الزائرين تقريباً ، فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، إلا من والد (راوية) ، وشقيقه والد عريسها المرتقب ..

كان (إبراهيم الهوَّارى) يجلس صامتاً ساهماً ، وقد اختفت من عينيه صرامتهما ، وحل محلها حزن يختلط بحنان أبوىّ صادق ..

أما شقيقه (سلامة)فقد بدا على العكس، غاضباً محنقاً..

كان (سلامة) يقول لشقيقه ، دون أن ينظر إليه :

ــ كان من الخطأ أن تسرع بها إلى هنا .

غمغم (إبراهيم) فى شرود :

ــ ويحك يا أخى . . هل كنت تريد منى أن أترك ابنتى للموت ؟

قال (سلامة) فى صرامة :

ــ لقد كانت تستحق ذلك .

هتف (إبراهيم) فى استنكار :

ــ تستحق الموت ؟!

صاح (سلامة) :

ــ بالطبع .. لقد أهانتنى ، وأهانت ابنى .. بل أهانت العائلة كلها بتصرُّفها هذا .

قال (إبراهيم) فى ضيق :

ــ كفى يا (سلامة) .

لم ينبض عرق واحد فى جسد (سلامة) بالرحمة أو الشفقة ، وهو يقول :

ــ لو أنها ابنتى لتركتها تموت، أو لقتلتها بيدى ، محواً لهذا العار .

هتف (إبراهيم) فى غضب :

ــ حمداً لله أنها ليست ابنتك .

هبَّ (سلامة) واقفاً ، وقال فى غضب شديد :

ــ فلتدع الله أن يفشل الأطباء فى إنقاذها ، وأن تلق حتفها ، محواً لهذا العار ، وإلا فلا حديث لنا بعد اليوم .

ثم أردف ، وهو يشير إلى قاعة الانتظار الخالية إلا منهما :

ــ انظر حولك لتعلم أن هذا ليس رأيى وحدى .. إنه رأى العائلة كلها ، لقد رفضوا جميعاً مصاحبتك إلى هنا

اختنق صوت (إبراهيم) ، وهو يغمغم :

– إنها ابنتى الوحيدة .

لفَّ (سلامة) كوفيته حول رقبته ، على الرغم من حرارة الجوّ ، وقال فى صرامة :

– من الأفضل أن يشرق الصباح ، وأنت تضيف كلمة (كانت) إلى عبارتك .

قال عبارته القاسية ، وابتعد بخطوات صارمة قوية ، ليترك شقيقه وحيداً فى قاعة الانتظار ، الملحقة بقسم الطوارئ فى المستشفى الصغير ..

كان قلب (إبراهيم) يكاد ينفطر فى هذه اللحظة ، من الحزن والأسى والندم ..

كان يشعر أنه المسئول الأول عما أقدمت عليه ابنته ..

ولكنها التقاليد ..

هتف فى هذه اللحظة ، فى القاعة الخالية :

– ألا سحقاً لهذه التقاليد !!

ثم عاد يضمّ شفتيه ، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد ، وهو يتفوّه بهذه العبارة ..

كان يعلم أن صرامته تخفى قلباً مرهفاً حنوناً ..

كثيراً ما أغلق على نفسه باب حجرة مكتبه ؛ ليبكى ألماً عما يفعله بابنته ..

ولكنها التقاليد أيضاً ..

إنه يعلم بحكم خبرته مدى الهوان الذى يتعرَّض له من يخالف تقاليد الصعيد ، ويعلم أنه أضعف من أن يخالفها ..

تضاعف شعوره بالذنب والندم ، فهتف من أعماقه :

– ساعدها يا إلهى !!

نفس هذا الهتاف تردَّد من أعماق (حامد) داخل حجرة صغيرة فى المستشفى ، حيث يجلس مع صديق طفولته الطبيب (نادر) ، الذى ربَّت على كتفه قائلاً :

– اطمئن يا (حامد) .. إنها ستنجو ، لقد أكد لى الزملاء ذلك .

تطلع إليه (حامد) بعينين اختلط فيهما الشك بالأمل ، وغمغم :

– أحقًّا ما تقول ؟

أجابه (نادر) فى حماس :

– أقسم لك أنه صحيح .. لقد هرع بها والدها إلى هنا

فور فقدانها لوعيها ، وأجرينا نحن لها غسيلاً معويًا فى
الحال ، وحالة نبضها وقلبها تؤكد أنها ستنجو .

سالت دمعة من عينى (حامد) ، وهو يسأله فى صوت
أقرب إلى الهمس :

ـ متى تستعيد وعيها إذن ؟

هزَّ (نادر) كتفيه ، وقال :

ـ ساعتين على الأكثر .

تعلق (حامد) بذراع صديق طفولته ، وقال فى
ضراعة :

ـ أريد رؤيتها يا (نادر) .. أرجوك .

تردَّد (نادر) لحظة ، ثم قال :

ـ حسناً يا (حامد) .. ستراها .

ثم غادر غرفته إلى قاعة الانتظار ، وقال للوالد :

ـ معذرة يا سيِّدى ، ولكننا نريد توقيعك على بعض
الأوراق .

انتفض الأب فجأة ، وكأنه يفيق من نوم عميق ،
وقال فى جزع :

ـ أية أوراق ؟.. هل .... ؟

قاطعه (نادر) فى هدوء :

ـ كلاً يا سيِّدى .. إنها بخير والحمد لله ، ولكنها
أوراق خاصة بإقامتها فى المستشفى ، وبعض الأمور الأخرى.

تبعه الأب فى خطوات مثقلة بالهموم إلى حجرة
جانبية ، ولم يكد (نادر) يغلق الباب خلفهما ، حتى عبر
(حامد) الممر فى سرعة ، وولج حجرة (راوية) ، وأغلق
الباب خلفه ..

وقف لحظة يتأمل وجهها الشاحب ، وعينيها المسبلتين
المنتفختين ، وشعر بنبع الحنان يعود ليتدفَّق فى قلبه ..

اقترب منها فى بطء ، وجلس إلى جوارها فى هدوء ..

سالت دموعه وهو يلمح تلك الأنابيب الدقيقة ، التى
غاصت فى أوردتها ، تمنحها الدواء والأمان ، ثم انحنى
على جبينها ، فأودعه قبلة طاهرة ، حملت كل حنانه
وحبه ولهفته ..

كان لقبلته الدافئة مفعول السحر .. بل كانت أقوى
من السحر نفسه ، ومن الطبِّ والأطباء ..

لم يكد يرفع شفتيه عن جبينها ، حتى فتحت عينيها فى
بطء ..

اختلج قلبه وهى تنظر إليه فى لهفــة ، وتفجرت ينابيع الحنان والحب فى داخله عندما هتفت فى وهن :

– (حامد) !!.. أهى الجنة ؟

التقط كفها الرقيقة ، ورفعها إلى شفتيه يقبلها ، وهو يهمس فى حبٍّ :

– المنتحرون لايذهبون إلى الجنة يا حبيبتى ، ولنحمد الله – سبحانه وتعالى – على أنك ما زلت فى الدنيا .

رفعت حاجبيها فى حنان ، وهى تقول فى حبٍّ وضعف :

– الجحيم أفضل من الحياة دونك يا (حامد) .

رفع كفها إلى شفتيه مرة أخرى ، وقبلها فى حنان ، وقال :

– لن نفترق مرة أخرى يا حبيبتى .

سألته فى يأس :

– كيف يا حبيبى ، وكل هــذه التقاليد والعصبيات تحيط بنا ؟

صمت مفكراً ، دون أن يترك كفها من بين راحتيه ، ثم قال فى هدوء :

– لقــد فشلت كل الطرق السلميــة يا (راوية) ، لم يعد أمامنا سوى المخاطرة بالوسيلة التى اقترحتها .

سألته فى لهفة أنستها ضعفها ووهنها :

– ماذا تعنى يا (حامد) ؟

أجابها فى حزم ، وكأنه قد اتخذ قراره النهائى :

– سأنتظرك بعد غد فى قطار السابعة والنصف مساءً ، وسنفرُّ معاً إلى القاهرة ، وهناك نتزوج ، ونضع الجميع أمام الأمر الواقع .

هتفت فى فرح :

– ولن نبالى لو قتلونا يا (حامد) .

قبل كفها مرة أخرى ، وقال فى حبٍّ :

– سنموت معاً على الأقل يا حبيبتى .

سالت من عينيها دموع الفرح ، وهى تعاهده قائلة :

– ما أجمل الموت فى هذا الإطار يا حبيبى !! سأكون لك .. لك وحدك .



١٠ ـ قلوب لا تعرف الرحمة ..

لم يستطع (حامد) إخفاء اضطرابه فى اليوم الموعود..

منذ الصباح الباكر وهو يتحاشى مقابلة أشقـــائه ، أو التحدث إليهم .. .

كان يعلم أن (راوية) ما زالت تتظاهر بالضعف والوهن ، حتى يمكنها البقاء فى المستشفى ، حيث يكون فرارها أهون ..

كل ما يخشاه هو أمهـا ، التى لا تفارقهـا دوماً ، بعد أن رفضت عائلة (الهوَّارى) بقاء والد (راويـــة) وسطهم ، فانتقل إلى فندق صغير بالقرب من المستشفى ..

فى ذلك اليوم أيضاً شعرت (راوية) بالتوتر ..

كانت تعلم أن فرارها مع الرجل الذى تحبه أمر غير مقبول اجتماعيًّا ، ولكن القيود والأسوار ، التى وضعت حول حبهما ، جعلت هــذا الأسلوب غير المستساغ هو الأمل الوحيد لزواجهما ..

أرادت أن تقوم بمحاولة أخيرة ، عندما سألت والدها هذا الصباح :

ـ أما زالت العائلة ترفضك يا أبى ؟

شعرت بالحنق المستعر فى أعماقه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنها مسألة وقت .

عادت تسأله :

ـ لم يعد زواجى من (حامد) يؤثر كثيراً إذن ؟

عقد الوالد حاجبيه فى غضب ، وقال :

ـ هذا أمر وذاك أمر .

سألته فى إصرار :

ـ لقد خسرنا العائلة على أية حال .

استدار إليها فى ثورة ، ثم لم يلبث مرآها فى فراش المرض أن أثار عاطفته ، فكظم غيظه وهو يقول :

ـ غضب العائلة لرفضك الزواج من ابن عمك غضب وقتى ، لن يلبث أن يزول ، أما لو وافقت على زواجك من (حامد) هذا ، فسيعد هذا بمثابة العار لهم ، خاصة بعد أن رفضت هوَّاريًّا من أجله ، وهم لا يغفرون هذا مطلقاً .

تردَّدت لحظة ، ثم عادت تسأله :

ـ وماذا سيضيرك من عدم غفرانهم ؟

هتف فى سخط لم يستطع إخفاءه هذه المرَّة :

- سأفقد كل شىء .. سأفقد أرضى التى يقوم أشقائى بزراعتها ، سأفقد مكانتى فى العائلة سأفقد .. كل شىء .

قالت فى محاولة أخيرة :

- هناك قانون لن يمكنهم من انتزاع أرضك و ....

قاطعها فى غضب :

- أى قانون هذا ؟ إن انتزاعهم الأرض فى هذه الحالة سيكون بديلاً عن قتلى ، إنك لا تفهمين قوانين الصعيد .

هتفت والدتها ، وقد أنساها خوفها على ابنتها استسلامها الدائم له :

- كفى يا (إبراهيم) .. ألا ترى أنها مريضة ؟

عقد (إبراهيم) حاجبيه ، وقال :

- حسناً .. حسناً .. سأترككما معاً ، وسأنصرف لشأنى .

لاذت (راوية) بالصمت حتى انصرف والدها ، ثم سألت أمها فى لهفة :

- كم الساعة الآن يا أمَّاه ؟

أجابتها أمها فى دهشة :

- إنها الخامسة والنصف يا (راوية) .. لم تسألين ؟

هزَّت كتفيها فى لا مبالاة مصطنعة ، وإن لم تستطع منع قلبها من الاختلاج فى قوة ، وهى تقول :

- أردت أن أعرف الوقت فحسب يا أمَّاه .

عقدت الأم حاجبيها فى شك ، فقد أنبأها قلبها أن ابنتها كانت تقصد الكثير من خلف هذا السؤال ، وأشاحت (راوية) بوجهها عن أمها ، حتى لا تفضحها عيناها ..

فى اللحظة ذاتها كان (حامد) يرقب عقارب الساعة فى توتر ، وهو ينتظر اللحظة التى يبدأ فيها مشوار حبه مع (راوية) ..

كان يكره هذا الأسلوب الذى سيقدمان عليه من أعماقه ..

كان يعلم أنه أسلوب خاطئ من الألف إلى الياء ..

ولكن البديل كان فقد (راوية) إلى الأبد ..

الفكرة وحدها دفعته إلى تعجل لحظة فرارهما إلى عالم الحبّ ، بكل ما سيحمله هذا من مخاطر وعذاب ..

ظل يروح ويجيء فى حجرته حتى السادسة ، وتوتره يتصاعد مع كل ثانية تمرّ ..

ولم تكد الساعة تدق السادسة حتى ولج شقيقه (أبو الوفا) إلى حجرته ..

شعر باضطراب شديد حينما رأى شقيقه أمامه ، ولكنه حاول أن يبدو هادئاً ، إلا أن صوته بدا مرتعداً ، وابتسامته بدت شاحبة ، وهو يقول :

– مرحباً يا (أبا الوفا) .. كيف حالك ؟.

ابتسم (أبو الوفا) ابتسامة بدت غامضة فى عينى شقيقه ، وهو يقول :

– فى خير حال .. لقد رأيتك تعتزل الجميع منذ الصباح ، فأحضرت كوبين من الشاى لنتناولهما معاً ..

لاحظ (حامد) لأول مرة كوبى الشاى اللذين يحملهما شقيقه ، فألقى نظرة سريعة على عقارب الساعة ، وقال فى توتر :

– لا بأس .

ناوله شقيقه أحد الكوبين ، وجلس إلى جواره ، قائلاً :

– ماذا بك يا (حامد) ؟

حاول (حامد) أن يبتسم ، ولكن ضحكته جاءت عصبية ، وهو يقول :

– لا شىء .. هل ترى شيئاً مختلفاً فى مظهرى ؟

ابتسم (أبو الوفا) دون أن يعلق ، وراقب شقيقه وهو يرتشف كوب الشاى على عجل ، ثم قال فى تخابث :

– هل هناك أخبار جديدة عن ابنة (الهوّارى) ؟

تظاهر (حامد) باللامبالاة ، وهو يقول :

– لست أدرى .

ابتسم (أبو الوفا) نفس الابتسامة الغامضة وهو يرتشف كوبه فى بطء ، ويتأمل شقيقه بعينين فاحصتين ، وساد الصمت بينهما طويلاً ، وعينا (حامد) تختلسان النظر إلى ساعته ، بين حين وآخر ، إلى أن سأله (أبو الوفا) فى هدوء :

– هل لديك موعد ما ؟

هزّ رأسه نفياً فى قوة ، بدت له فيما بعد مبالغة وهو يقول :

– مطلقاً .. من أوحى إليك بهذه الفكرة ؟

شعر بآلام شديدة فى رأسه بعد هذه الحركة ، وخيل إليه أن أجفانه تتثاقل ، ولكنه قاوم هذا الشعور العجيب ، وقال :

– ليس لدىَّ أية مواعيد على الإطلاق .

لاحظ (أبو الوفا) ذلك التبدل الذى أصاب شقيقه ، فابتسم وقال :

– وماذا عن موعـدك مع ابنة الهوارى فى السابعة والنصف ؟

شعر (حامد) بدهشة عارمة تجوب أعماقه ، ولكنه عجز عن التعبير عنها ، فقد ثقل لسانه ، وازداد تثاقل جفنيه ، ودار رأسه فى قوة ، فغمغم :

– كيف .. كيف عرفت ؟

نهض (أبو الوفا) واقفاً ، وقال :

– القدر يا (حامد) .

تطلع إليـه (حامد) بعينين ذابلتين ، وحاول أن ينطق ، ولكن شقيقه استطرد فى قسوة :

– فى تلك الليلة التى أقدمت فيهـا ابنـة (إبراهيم الهوَّارى) على الانتحـار ، انفض الجميع من حوله ،

وهرعت أنت إلى المستشفى فى جزع ، ولم أستطع أنا البقاء هنا ، شعرت أنه من دواعى الشهامة أن أقف إلى جوار الرجل فى محنته ، ومن دواعى الأخوَّة أن أحاول منعك من أى حماقة قد تقدم عليها هناك ، فذهبت إلى المستشفى ، ولكننى لم أجد أحداً هناك ، وأخبرتنى إحدى الممرِّضات عن رقم حجرة الفتاة ، فظننت أن والدها يجلس إلى جوارها ، وقبل أن أدق الباب سمعتك تتحدث وإيَّاها ، وتتفقـان على الفرار .

لم يعد فى استطاعة (حامد) أن يحرك واحداً من أطرافه التى تثاقلت كثيراً ، ولكنه غمغم فى شحوب :

– ماذا فعلت بى ؟

هتف (أبو الوفا) :

– أحاول إنقاذك من تلك الحماقة ، التى ستقترفها مع تلك الحمقاء ، هل قدرت ماذا يمكن أن يحـدث بعـد فراركما .. إنك ستقيم فى منزلك معها ، أو تبحثان عن مأوى آخر ، ولكنكما ستذهبان حتماً إلى عملكما ، فلن يكون لكما – حينئذ – دخل سواه ، وهـذا يعنى أن

العثـور عليكما لن يكون بالأمر العسـير ، ولن يكون جزاؤكما – حينئذ – إلا القتل بلا رحمة .

بذل (حامد) مجهوداً خرافيـاً ليبقى عينيه مفتوحتين ، وشقيقه يستطرد فى غضب :

– لقد وضعت لك بعض الأقراص المنوّمة فى الشاى ، حتى لا تنجح فى هذه الحماقة ، أما هذه الفتاة فالأسلوب الوحيد لإنهاء قصتها ، هو إزاحتها من الطريق .

ارتجف قلب (حامد) خوفاً ، وغمغم فى صعوبة :

– لا يا (أبا الوفا) .

هتف (أبو الوفا) :

– هذا هو الحل الوحيد ، إن إزاحتها عن الطريق ، سيجنب العائلتين إراقة أنهـار من الدماء .. إننى أفعل ما أراه صواباً يا أخى .. صواباً لك وللعائلة كلها .

لم يصدّق (حامد) أذنيه ، وهو يسمع هذه الكلمات القاسية من فم أخيه ..

لم يصدّق أن العالم يضم إناساً خلت قلوبهم من الرحمة إلى هذا الحد ..

غمغم (حامد) ، وهو يقاوم النعاس فى مجهود خرافى :

– والرحمة ؟!

صاح (أبو الوفا) :

– إن ما أفعله هو قمـة الرحمة .. أنت تفكر بعقلك ومشاعرك وحدك ، ولكننى أفكر بعقـل ومشاعر أسرة كاملة .. صدّقنى يا (حامد) ، إن ما أفعله هو قمة الرحمة.

تطلع (حامد) إلى شقيقه فى ضراعة ، وبذل مجهوداً يفوق طاقة البشر ، ليقول :

– لا تقتلها يا (أبا الوفا) .. أرجوك .

نظر إليه (أبو الوفا) لحظة فى صرامة ، ثم قال :

– أعدك أننى لن أقتلها يا (حامد) .

تهاوى رأس (حامد) على صدر شقيقه فور سماعه هذه العبارة ، وكأنما بعثت فى قلبه الرّاحة ، حتى لم يعد هناك مبرّر لمقاومته ، واستسلم أخيراً لنعاس عميق ..

لم يكد يفعل حتى استطرد (أبو الوفا) فى صرامة :

– لن أقتلها يا (حامد) ، ولكننى سأترك للطبيعة أن تفعل .

* * *

١١ - الجبـــل ..

أشارت عقارب الساعة إلى السابعة وعشر دقائق ، عندما قالت (راوية) لأمها :

- سأذهب إلى دورة المياه يا أمّاه .

هتفت أمها :

- هل أعاونك ؟

لوّحت (راوية) بكفها ، وقالت وهى تبتسم :

- شكراً يا أمّاه .. إننى أفضّل أن ترتبى لى فراشى حتى أعود .

نهضت الأم تعنى بالفـراش ، على حـين توجهت (راوية) إلى خارج الحجرة ، ولم تنس أن تلقى نظرة مشفقة على أمها قبل أن تغلق الباب وراءها ..

شعرت بالحزن والأسى ، لما ستسببه لهذه الأم الطيبة من ألم وعذاب بفرارها ..

لعنت التقاليد السخيفة ، التى أجبرتها على هذا الوضع المؤسف ، ولكنها شكرت الظروف فى الوقت نفسه ، لأنه لم تكن هناك دورة مياه ملحقة بحجرتها ..

لم تكد تغلق خلفها باب دورة المياه ، حتى أسرعت تنتزع ثوب المستشفى ، حيث ارتدت أسفله ثوباً بسيطاً ، ووضعت على عينيها منظار شمس ، على الرغم من الظلام الذى شمل المكان بعد غياب الشمس ، ثم غادرت دورة المياه فى خطوات سريعة مضطربة إلى خارج المستشفى ، وأسرعت الخطا إلى محطة القطار القريبة ، وهناك بحثت بعينيها فى لهفة عن (حامد) ، ولكنها لم تجده ، واقترب موعد القطار دون أن يظهر له أثر ..

تملكها الجزع والقلق ، عندما وصل القطار دون أن يظهر (حامد) ..

كانت تعلم أنه لن يتخلف عن موعدها إلا لأسباب تفوق قدراته ، وتساءلت فى خوف عن هذه الأسباب ..

قبـل أن يشتد بها الجزع ، سمعت صوتاً من خلفها يقول فى هدوء :

- لقد تغيرت الخطة ..

استدارت إلى مصدر الصـوت فى فزع ، فرأت أمامها رجـلاً صارم الملامح ، حاول أن يلين ملامحـه ، وهو يقول :

ـ لن يأتى (حامد) ..

تراجعت وهى تسأله فى ذعر :

ـ من أنت ؟

أجابها فى ليونة :

ـ لا تخشى شيئاً .. أنا (أبو الوفا) شقيق (حامد) ، وقد أخبرنى كل شىء عما اعتزمتماه ، وأنا أؤيد زواجكما ، ولكننى أرفض هذا الأسلوب .

أثارت هذه الكلمات الطمأنينة فى نفسها ..

كانت هذه هى أول مرة ترى فيها (أبا الوفا) ، ولم يكن (حامد) قد أخبرها عن رفض شقيقه الأكبر زواجهما ..

ربما خوفاً من أن يجرحها بهذا ، وربما لعدم اهتمامه بالأمر .. ولكنه لم يخبرها ..

اطمأنت هى إلى (أبى الوفا) ، فسألته فى لهفة :

ـ أين (حامد) ؟.. لماذا لم يحضر ؟

اطمأن (أبو الوفا) لنجاح خطته ، وقال :

ـ الحضور إلى هنا خطر للغاية ، فـ (دشنا) صغيرة ، وسيعرفكما الجميع فى مكان ظاهر كمحطة القطار ؛ لذا فقد

اتفقت معه على أن يسافر إلى (قنا) ، وسنلحق به أنا وأنت لتتزوجا هناك .

بعثت كلماته السعادة فى قلبها ، فقالت فى لهفة :

ـ ومتى نلحق به ؟

ابتسم وهو يقول فى هدوء :

ـ الآن .

شملت السعادة قلب (راوية) وهى تجلس إلى جوار (أبى الوفا) فى سيارته ، التى انطلق بها صامتاً طوال الوقت ..

شملتها السعادة، حتى أنها لم تنتبه إلى الطريق الذى تقطعه السيارة إلا متأخراً ..

أدهشها ذلك الظلام الذى يحيط بالسيارة من كل جانب ، فسألت (أبا الوفا) فى قلق :

ـ أى طريق هذا الذى نقطعه ؟

أجابها فى برود :

ـ إنه طريق مختصر عبر الجبل .

امتلأت نفسها بالشك والقلق ، فهتفت فى ذعر :

ـ إلى أين تقودنى ؟

لم يعـد هناك ما يجبره على ارتداء قناع زائف ، فأبرز لها قسوته وهو يقول :

– إلى حيث تنتهى هذه المهزلة ، أيتها الهوَّارية .

صرخت فى ذعر :

– أنزلنى .. أنزلنى .

أدهشها أن أوقف السيارة فى الحال ، وقال فى برود :

– انزلى .

أسرعت تقفز من السيارة فى ذعر ، ولم تكد تفعل حتى انطلق مبتعداً ..

لم تتبين الوضع للوهلة الأولى ، حتى تلاشت أضواء السيارة ، وغلفها الظلام المرعب ..

كشفت فى تلك اللحظة أنه تركها وحيدة فى الجبل ..

ارتعد قلبها رعباً ، وانطلقت تعدُو خلف السيارة وهى تصرخ :

– لا .. لا تتركنى هنا .. أرجوك ..

ضاعت صرخاتها وسط صمت الجبل ، وتعثرت أكثر من مرة ، وسقطت على وجهها وسط رماله وحصاه ، ولكنها كانت تنهض فى كل مرة ، وتعاود العدو ، حتى

لم تعد تستطيع ، فسقطت وسط الرمال ، وتفجر الدمع من عينيها غزيراً يروى رمال الصحراء ، وهى تصرخ فى رعب :

– النجدة يا (حامد) .. النجدة ..

واختلط نداؤها بعواء الذئاب ، ثم تلاشى فى حضن الجبل ..

لم يتلاشى النداء تماماً ..

لقد انطلق من قلبها إلى قلب (حامد) تماماً ..

عجيبة هى تلك العلاقة بين الأحبَّة ..

إنهم لا يحتاجون فى كثير من الأحيان إلى كلمات مسموعة ، فقلوبهم تربط بينهم دوماً ، وكأنها قد امتزجت وأصبحت قلباً واحداً فى جسدين ..

لم تكد (راوية) تطلق نداءها فى قلب الجبل ، حتى انتفض (حامد) على بعد عشرات الكيلومترات ، واستيقظ من نومه فجأة ..

هبَّ من فراشه صارخاً فى جزع ..

انطلق إلى خارج حجرته ، واندفع إلى أحد أشقائه يسأله فى صوت صارخ :

- أين (أبو الوفا) ؟

هتف شقيقه فى دهشة :

- لست أدرى ، لقد استقل سيارته و ....

قاطعه (حامد) صارخاً :

- سيارته ؟!

ألقى نظرة سريعة على ساعته ، وكاد قلبه يتوقف حينما رأى عقاربها تشير إلى الثامنة والنصف ، فاندفع خارج منزل عائلته وسط دهشة الجميع ، ولم يكد يفعل حتى رأى أمامه (إبراهيم الهوارى) ، الذى سأله فى غضب هادر :

- أين ابنتى يا (حامد) ؟

هتف (حامد) فى ذهول :

- ابنتك ؟!

صرخ (إبراهيم) فى جنون :

- نعم ابنتى أيها المخادع ، لقد أقنعتها بالهرب .. أين هى ؟.. إن أمها تكاد تموت ألماً وحزناً .

امتلأ قلب (حامد) بالذعر والقلق ..

لقد مضى موعده مع (راوية) منذ ساعة كاملة ، وهى لم تعد إلى المستشفى حينما لم تجده بانتظارها ..

ليس من المعقول أن تكون قد رحلت وحدها إلى القاهرة ، فلن يكون لها من مأوى هناك بدونه ..

وغياب (أبى الوفا) ؟

صاح فى جزع :

- صدّقنى يا سيّد (إبراهيم)، إننى نائم فى حجرتى منذ السادسة والنصف ، ولم أستيقظ إلا الآن .

كان الصّدق واضحاً فى كلماته ، حتى أن وجه (إبراهيم الهوارى) قد شحب وارتجفت أطرافه وهو يقول :

- إذن فقد انتحرت مرة ثانية .

لم يكد يتم كلماته ، حتى توقفت سيارة (أبى الوفا) أمامهما ، وهبط هو منها فى هدوء ، وتجاهل شقيقه تماماً ، وهو يمد يده لمصافحة (إبراهيم الهوارى) قائلاً :

- مرحباً بك فى منزل أسرة (الليثى) ياسيّد (إبراهيم).

جذب (حامد) شقيقه فى قسوة ، وقال فى صرامة :

- أين كنت يا (أبا الوفا) ؟

ابتسم (أبو الوفا) فى هدوء ، وقال فى برود :

- نزهة قصيرة يا شقيقى العزيز .

سأله (حامد) فى حدّة :

- نزهة فى أى مكان يا (أبا الوفا) .

شعر (أبو الوفا) بالغضب الهائل فى أعماق شقيقه ، وخشى أن يعميه الغضب ، فيفصح بحديثهما إلى (إبراهيم الهوارى)..

خشى أن يؤدى هذا إلى مزيد من إراقة الدماء ، فغمغم فى غضب :

- فى الجبل .

شحب وجه (حامد) ، وغمغم فى ذعر :

- الجبل ؟!

قفز (حامد) فجأة إلى سيارة شقيقه ، وهتف وهو يدير محرّكها :

- اطمئن يا سيّد (إبراهيم) ، سأبحث عن ابنتك فى كل مكان .

ثم أردف قبل أن ينطلق بالسيارة :

- حتى ولو نبشت الأرض شبراً شبراً بحثاً عنها .

انطلق بسيارته نحو الجبل ، وجسده يرتجف لهفة وقلقاً على حبيبته ..

كانت معرفته بالجبل تقل كثيراً من معرفة شقيقه به ، ولكنه لم يكن يجهله تماماً ..

أخذ عقله يعمل فى سرعة دفعه إليها حبه الجارف ..

لقد استقل شقيقه سيارته ، ولم يغب أكثر من ساعة واحدة ، بعد الموعد المتفق عليه بينه وبين (راوية) ، وهذا يعنى أنه لم يبتعد كثيراً ، وأن الطريق الذى اتخذه يسمح بسير السيارة ..

قاده استنتاجه إلى طريقين لا ثالث لهما ، وقاده قلبه إلى أحدهما فى الحال ..

ترك قلبه يقوده دون أن يحاول مخالفته ..

كان يعلم أن العقل قد يخدع أحياناً ، ولكن القلوب صادقة دوماً ..

لم يصدّق عينيه ، عندما وقع ضوء السيارة على جسد ملقى فوق الرمال ..

قائد ماهر قلب المحبّ الصادق ..

لو أنك قصصت هذا فى رواية خيالية ما صدقه أحد..

ولكن قلب (حامد) قاده إلى (راوية) ..
قاده كرادار حساس لا يخطئ هدفه ..
أبقى (حامد) أضواء السيارة على (راوية) ، وقفز منها ليحيط حبيبته بذراعيه ، ويهتف فى جزع :
– (راوية) .. هل أنت بخير ؟
الذعر المتجلى فى عينيها أنبأه عن حالها ..
لقد رفعت عينيها إليه فى ضعف ، وغمغمت وهى تبتسم فى صعوبة :
– (حامد) :
ثم سقطت بين ذراعيه فاقدة الوعى .



١٢ – حبيبى الى الأبد ..

شهر كامل مرَّ منذ هذا اليوم العصيب ..
شهر كامل لم تسمع فيه (راوية) كلمة واحدة عن (حامد) ..
شهر كامل ذاقت فيه كل أنواع العذاب ..
ما زالت تذكر ذلك اليوم ، الذى أنقذها فيه (حامد) من تيه الجبل ..
لقد أفاقت من غيبوبتها فى ذلك اليوم ، لتجد نفسها فى المستشفى ، متهمة بمحاولة الانتحار ، وبالهروب من المستشفى دون إذن ، ولولا أنها نجحت فى إقناع وكيل النيابة بأنها قد تناولت الدواء المميت عن طريق الخطأ ، وأنها قد أصيبت بحالة من الشرود ، غادرت خلالها المستشفى لتهيم على وجهها ، ولولا أن وكيل النيابة الشاب قد أشفق على شبابها ورقتها وضعفها ، لكانت الآن فى السجن ..
لم تدر شيئاً يومها عن (حامد) ..
كل ما عرفته – بعدئذ – أنه غادر منزل عائلته غاضباً ، ولم يعد إليه مرة أخرى ..

أما هى فقد أصرَّ والدها على عودتها إلى القاهرة ، ومنعها تماماً من الذهاب إلى عملها ..

لم يستطع هو احتمال الشعور بالخذى فى (دشنا) بعد ما فعلته ، ففرَّ منها إلى القاهرة ..

شهر كامل لم تسمع فيه كلمة واحدة عن (حامد) ، حتى تصوَّرت أنه ملّ الصراع ، ولم يعد يرغب فى الزواج منها ..

صحيح أن (أبا الوفا) لم ينجح فى إقصائها عن الدنيا ، ولكنه نجح على الأقل فى تحطيم أملها فى الزواج من (حامد)..

شهر كامل لم تر فيه (حامد) ، ولكنها لم تغضب ..

وجدت العذر فى تجنب الصراع ، بعد أن أثبتت التقاليد أنها أقوى من أن يتحدياها ..

ولكن شوقها إليه لم يقل يوماً واحداً ، بل تزايد فى كل يوم يمرُّ بها ، حتى أنها لم تعد تأمل فى هذا العالم سوى رؤيته ..

إنها لم تبال يوم تسلمت خطاب الكلية ، الذى يعلنها بفصلها من العمل ؛ لتغيُّبها طيلة شهر كامل دون إذن ..

لم تعد تبالى بأى شىء سوى (حامد) ..

وفى ذلك اليوم من آخر أيام شهر سبتمبر ، وافق والدها أخيراً على السماح لها بالخروج والتنزُّه ..

أسرعت ترتدى ثيابها، وتغادر المنزل قبل أن يتراجع فى قوله ..

لم تعد تحتمل ذلك السجن الذى وضعها فيه منذ عودتهما من (دشنا) ..

انطلقت عبر الطريق فى خطوات سريعة ، قبل أن يلحق بها والدها ، ويطلب منها العودة إليه ..

لم تكد تبتعد عن المنزل حتى عاودها الشعور بالملل ..

لم تشعر أن الأمر يختلف كثيراً داخل المنزل وخارجه..

بدت الأمور كلها فى عينيها سواء ، ما دامت بعيدة عن (حامد) ..

عادت تسير فى ضجر وتململ ، وهى تتأمل واجهات المحال التجارية فى تراخ ..

وفجأة سمعت صوتاً يهمس من خلفها :

— حبيبتى .

ارتجف جسدها ، وسرت فيه نشوة غامرة ..

أهو صوت (حامد) حقًّا ، أم أن خيالها المتلهف على رؤيته قد صوَّر لها هذا ؟.

لم تستطع منع الدموع التى انهمرت على وجنتيها فى سعادة ، حينما دار ليواجهها ، وفى عينيه تألق كل حبّ الدنيا وحنانها وهو يكرِّر :

– حبيبتى .

كادت تلقى بنفسها بين ذراعيه ، لولا أن منعها الخجل ، وهى تغمغم من بين دموعها :

– حبيبى .

تناول كفها فى راحته ، وهمس فى لوعة :

– شهر كامل وأنا أنتظر خروجك أمام منزلك .. شهر كامل وأنا أطوف ببيتك ، مؤملاً نظرة واحدة من عينيك ..

لم يسعدها قول فى حياتها كما أسعدها هذا القول ..

إنه لم ينسها إذن يوماً واحداً طوال هذا الشهر ..

إنه لم يتخلَّ عن حبها لحظة واحدة ..

استسلمت له وهو يحتوى كفها براحته ، وكأنه

يخشى أن يفقدها مرَّة ثانية ، وتركته يقودها إلى كافيتيريا شهيرة فى وسط البلد ، وهو يقول :

– لم أصدِّق نفسى ، وأنا أراك تغادرين منزلك الآن .. كدت أندفع إليك ، وأضمك إلى صدرى ، لولا أن خشيت أن يكون والدك خلفك .. تركتك تبتعدين كثيراً عن المنزل ، ثم جئت إليك .

جففت دموع فرحها ، وهى تقول :

– لو أننى أعلم لأصررْتُ على الخروج منذ زمن طويل .

جلسا إلى مائدة فى ركن الكافيتيريا ، وقال (حامد) :

– لقد وجدت حلاً لمشكلتنا يا حبيبتى ، ولكنه يحتاج إلى تعاونك .

هتفت فى إخلاص :

– سأفعل ما تشير به يا (حامد) .

ابتسم فى هدوء ، وتأمل ملامحها فى شغف ، وهو يقول :

– لقد حصلت على موافقة هجرة إلى (أستراليا) .

شحب وجهها ، وهى تغمغم :

– هجرة ؟!

تابع قوله فى هدوء :

– حصلت على موافقة هجرة أنا وزوجتى .
ازداد شحوب وجهها ، وانتفض قلبها فى قوة وهى تغمغم :
– زوجتك ؟!
مال نحوها وهمس :
– أنت يا (راوية) .
تحوّل انتفاض قلبها إلى رقصة فرح وسعادة ، وهى تقول :
– أنا زوجتك ؟!
أومأ برأسه موافقاً ، وقال :
– هذا هو الحل الوحيد لمأساتنا يا حبيبتى .. لقد حصلت على موافقة الهجرة ؛ لأننا بذلك سنحيا فى مكان آخر ، لن تصل إلينا فيه تلك التقاليد ، التى تحول دائماً بين زواجنا .
صمتت وهى ترتعد من فرط سعادتها ، فتابع قائلاً :
– لو أننا تزوّجنا على الرغم من الجميع ، فلن نجد مكاناً آمناً واحداً فى مصر كلها ، وحتى لو وجدنا ،

فسنعيش دوماً فى خوف لا ينتهى .. قد لا نبالى بالموت فى البداية ، ولكننا إذا ما أنجبنا ، فسيسيطر الخوف على حياتنا ، خوفاً على أبنائنا على الأقل .
هتفت فى سعادة :
– سأتبعك إلى نهاية العالم يا (حامد) .
صمت لحظة ، وكأنه يستجمع أفكاره ، ثم قال فى هدوء :
– سنتزوّج الليلة يا (راوية) .
اختلج قلبها ، وهى تقول فى سعادة :
– الليلة ؟!
قال فى حماس :
– بل الآن .. قبل أن تعودى إلى منزلك ، فلابدّ لى من إضافة اسمك إلى جواز سفرى ، وإلى أوراق الخروج والهجرة .
خفضت وجهها خجلا وسعادة ، وهى تغمغم :
– هل تريد أن نتزوّج الآن ؟
قال فى حزم :
– نعم .. هل أنت مستعدة ؟

هتفت فى إخلاص:
ـ قلت لك إننى سأتبعك إلى نهاية العالم يا (حامد) .
نهض وهو يقول :
ـ هيّا بنا إذن .
مرّت الساعة التالية فى سرعة عجيبة ..
لقد ذهبا إلى المأذون ، وعقدا قرانهما بعد أن شهد ابنا المأذون على زواجهما ..
أصبحا فى دقائق زوجاً وزوجة ..
لم تصدّق (راوية) نفسها ..
لم تصدّق كل هذا الفرح الذى ملأ قلبها ..
لم تصدّق أنهـا أصبحت زوجة (حامد) ، الذى أحبته بكل جوارحها ..
هو أيضاً لم يصدّق ما حدث ..
لم يصدّق أن الأمر قد تم بكل هذه البساطة ..
لم يصدّقا حتى غادرا مكتب المأذون ..
هنا فقط هتف (حامد) فى سعادة :
ـ يا إلهى !! أنت زوجتى الآن يا (راوية) .

هتفت فى فرح :
ـ وأنت زوجى يا (حامد) .
تلاشت الفرحة من وجه (حامد) فى سرعة ، وقال:
ـ مع إيقاف التنفيذ للأسف .
هتفت (راوية) فى حماس:
ـ ما من مخلوق فى الأرض يمكنه التفريق بيننا الآن يا (حامد) .
أجابها فى هدوء :
ـ لقد تم زواجنا رسميًّا يا (راوية) ، ولكننى لن أسعد به حتى تضمنا الطائرة فى طريقنا إلى (أستراليا) ، حيث نصبح فى مأمن من انتقام عائلتينا .
ثم أمسك كتفيها ، وقال فى حزم :
ـ اسمعينى جيداً يا (راوية) .. إن إضافة اسمك إلى جواز السفر لن يستغرق أكثر من يوم واحـد ، بعدها سأحجز تذاكر السفر .. وعليك أن تقابلينى بعد ثلاثة أيام ، لأحدد لك موعد سفرنا ، حتى يمكنك إعداد نفسك للهجرة .

قالت ودمع الفرح يترقرق فى عينيها :

– سأفعل يا (حامد) .. أعدك بذلك .

افترقا بعد أن تواعدا باللقاء بعد أيام ثلاثة ، وعادت هى إلى منزلها وهى تكاد ترقص فرحاً ..

لم تعد فكرة فرارها مع من تحب تؤرقها ، فمنذ هذه اللحظة سيصبح حبيبها إلى الأبد ..

لقد أصبح زوجها ، وعليها أن تطيع ما يأمرها به ..

دقت باب منزلها فى مرح ، وفتحت والدتها الباب ، فقفزت تتعلق بعنقها ، وتهتف فى سعادة :

– كيف حالك يا أجمل أمّ و .....؟

بترت عبارتها فجأة ، وتلاشى مرحها ، حينما ارتطمت عيناها بعينى والدها الصارمتين ، وسمعته يسألها فى قسوة :

– أين كنت ؟



١٣ ـ الحاجز ..

وقفت (راوية) لحظات تواجه عينى والدها لأول مرة ..

تملكتها رغبة قوية فى تحدّيه هذه المرة ..

أرادت أن تصرخ فى وجهه ، أنه لم يعد يملك من أمرها شيئاً ..

لقد أصبح لها زوج يمتلك كل شىء فيها ..

ولكنها آثرت ألا تخبره ..

أرادت أن تحافظ على حبها ، ولا تثير من حوله الصراع ، قبل أن يحين الوقت المناسب ..

أجابت والدها فى هدوء :

– كنت أتنزّه فى وسط البلد .

قال والدها فى صرامة لا تخلو من السخرية :

– وهل يمنح التنزّه كل هذا القدر من المرح والسعادة؟

أشاحت بوجهها ، وهى تقول :

– السجين يشعر بالسعادة والمرح دائماً ، عشية خروجه من السجن .

قال الوالد فى غضب :

– لقد قابلت (حامد) .. أليس كذلك ؟

أرادت أن تنكر ، ولكنها وجدت نفسها تقول فى تحدٍّ :

– نعم .. قابلته .

اتسعت عينا والدها فى دهشة من هذا الأسلوب المتحدّى ، وانكمشت والدتها وهى تتوقع ثورة الوالد ، التى لم تلبث أن اندلعت وهو يصرخ :

– قابلته ؟! .. أتواجهيننى بكل هذا التحدّى أيتها الفاجرة .

صرخت فى وجه أبيها :

– ماذا فعل (حامد) حتى تنبذه إلى هذا الحدّ ؟.. وماذا فعلت أنا حتى تلقبنى بهذا اللقب البغيض ؟.. لقد جاء إلى منزلك كأى رجل شريف ، يطلب الزواج من ابنتك ، ولم يكن فاشلاً ، أو فاسداً ، ولكنك رفضته ، وعلى الرغم من رفضك له سعى إليك مرة أخرى فى بلدتك ، فعدت ترفضه ، وبعد أن رفضته مرتين أنقذ ابنتك الوحيدة من الموت وسط الجبل .. أخبرنى إذن أى خطأ ارتكبه (حامد) .

ارتجفت الأم من قمة رأسها حتى أخمص قدميها ، واتسعت عينا الوالد فى ذهول ، وهو لا يصدق ما أقدمت عليه ابنته من الثورة فى وجهه لأول مرة فى عمرها ..

(راوية) أيضاً شعرت بخطأ ما أقدمت عليه ، ففاضت الدماء من وجهها ، وقالت :

– معذرة يا والدى .. لقد ....

قاطعها والدها فى غضب :

– لقد نسيت كيف يتعامل الأبناء مع آبائهم .

أطرقت (راوية) فى خجل ، على حين أسرعت الأم إلى الوالد ، وقالت :

– إنها لم تكن تقصد .. إنها ....

قاطعها الوالد فى صرامة :

– إنها لن تغادر هذا المنزل مرة أخرى .

شحب وجه (راوية) وهى تسمع هذا القرار القاسى ، وغمغمت فى ذعر :

– ولكننى اعتذرت يا أبتاه ..

لم يفزعها القرار إلا لأنها لابدّ أن تلتقى بزوجها (حامد) بعد ثلاثة أيام ..

لم يفزعها السجن ، إلا لأنه يحرمها حبيبها ..

ولكن والدها عاد يقول فى صرامة :

– لن تغادرى هذا المنزل مرة أخرى ، هذا قرارى الأخير .

شعرت (راوية) بغضب شديد فى أعماقها ، ولكنها لم تعترض ..

قرّرت أن تقابل زوجها ، حتى وإن اضطرّت لمخالفة والدها ..

وهذا ما فعلت بالفعل بعد مرور الأيام الثلاثة ..

فى الموعد المحدد تماماً كانت ترتدى ملابسها ، وتستعد للخروج ..

لم يكن والدها بالمنزل ، وجزعت والدتها وهى تراها تهم بمغادرة المنزل ، فسألتها فى رفق :

– إلى أين يا (راوية) ؟

أجابتها فى هدوء :

– لابدّ لى من الخروج يا أمّاه .

ربّتت الأم على كتفها فى حنان ، وقالت فى قلق :

– لن يعجب هذا والدك يا بنيتى .

عقدت (راوية) حاجبيها ، وقالت فى صرامة لم تعهدها فيها أمها من قبل :

– لابدّ أن أذهب يا أمّاه .

لم تستطيع أمها اعتراضها ..

إنها لم تحاول فى الواقع ، فلم تكن تتفق مع والدها فى هذا الأسلوب القاسى ..

كانت تحبّ ابنتها الوحيدة حبّا يفوق الوصف ، حتى أنها كانت مستعدة لتحمل كل صرامة الأب وقسوته من أجلها ..

كل ما فعلته هو أن تبعتها ببصرها ، وغمغمت فى حنان :

– ليرْعكِ الله يا ابنتى .

أسرعت (راوية) إلى لقاء (حامد) فى لهفة ..

كانت تشعر وكأن الأيام الثلاثة ، التى مضت منذ آخر لقاء لهما دهراً كاملاً ..

لم تكد تلمحه وهو ينتظرها فى تلك الكافيتيريا القريبة ، حتى افتر ثغرها عن ابتسامه سعيدة ، وأسرعت إليه وهى تهتف فى لهفة :

– كيف حال زوجى العزيز ؟

استقبلها فى لهفة مماثلة ، وهو يهتف :

– كيف حالك أنت يا زوجتى الحبيبة ؟

مدّت كفها إليه ، ومدّ كفه إليها .. وتصافحا ..

تذكرت أكفهما هذه المصافحة التى افتقدتها طويلاً ..

وجدا نفسيهما فجأة يميلان نحو بعضهما البعض ، ليتبادلا نفس العبارات الهامسة القديمة ، التى ظلت سرًّا حتى يومنا هذا ، ثم ابتسما فى سعادة ..

احتوى هو كفها فى راحته ، وقادها إلى مائدة منعزلة .. وما أن استقر بهما المقام حتى قال (حامد) :

– لقد أعددت كل شىء .

سألته فى لهفة :

– هل انتهت كل الأوراق ؟

ابتسم فى هدوء ، فتخضب وجهها بحمرة الخجل وهى تهمس :

– أعنى متى .. متى نسافر ؟

قال فى بطء :

– غداً فى الفجر .

هتفت فى دهشة :

– غـــداً ! !

سرَت فى جسدها رعدة خفيفة ، حينما كشفت أن الأمر أقرب مما تتصوَّر ..

كانت تعلم أنها ستضطر إلى مفارقة والدتها ، ولكنها لم تكن تتوقع أن يكون ذلك بهذه السرعة .

لاحظ هو اضطرابها ، فسألها :

– هل ترددين فى مرافقتى يا (راوية) ؟

هتفت فى لهفة :

– مطلقاً يا (حامد) .. إننى زوجتك ، والزوجة تتبع زوجها إلى آخر العالم .

صمت لحظة يتأمل ملامحها ، ثم قال :

– ستقلع طائرتنا فى الخامسة صباحاً ، ولابدّ أن نكون فى المطار فى تمام الثالثة .. وهذا يعنى أن نلتقى هنا أمام الكافيتيريا فى الثانية صباحاً .

توقف عن إتمام حديثه ، وسألها :

– هل سيمكنك ذلك ؟

أجابته فى حماس :

ـ نعم .. سيمكننى ذلك، حتى ولو اضطررت لإخبار والدى بأمر زواجنا .

عقد حاجبيه ، وقال :

ـ أفضّل ألاّ تفعلى .. يمكنك ترك رسالة ، أو شىء من هذا القبيل، ولكن لا تخبريه، حتى لايعيق سفرنا بأية وسيلة .

وافقته ، وقالت :

ـ سنلتقى فى الثانية بإذن الله .

افترقا هذه المرة على أمل لقاء قريب .. لقاء يجمع بين قلبيهما إلى الأبد ..

صعدت (راوية) فى درجات السلم فى بطء .

كانت تفكر فى الوسيلة المناسبة لإخبار والدتها بالأمر .. أشفقت كثيراً على أمها ، وشعرت أنها لن تحتمل فراقها طويلاً ، وأخذت تفكر فيما إذا كان من الممكن أن تقنعها بالسفر إليها يوماً ..

شغلها هذا التفكير حتى وصلت إلى منزلها ، وقرعت الباب بحركة آلية ..

لم يكد الباب يفتح حتى وجدت نفسها أمام أبيها ، الذى احمرّت عيناه غضباً وهو يقول :

ـ ادخلى .

خطت إلى المنزل فى هدوء ، وقد شعرت بفيض من القوة فى عروقها يدفعها لعدم الخوف منه ، حتى عندما صرخ فى وجهها :

ـ أين كنت ؟

أجابته فى تحدٍّ :

ـ كنت مع (حامد) .

فجأة هوى والدها على وجهها بصفعة قوية قاسية ، وصرخ وهو يرتعد غضباً :

ـ أيتها الفاجرة .

أحنقها أن ينعتها بهذه الصفة القبيحة للمرة الثانية ، فصرخت فى غضب :

ـ لن أسمح لأحد بأن يصفنى بهذه الصفة مرة أخرى، إننى لم أذهب لمقابلة عشيق أو حبيب .. لقد ذهبت لمقابلة زوجى .

شهقت أمها فى ذهول، وترنح والدها كالذبيح، وهو
يغمغم فى صوت مختنق :
- زوجك ؟!
لم تحتمله قدماه ، فهوى على أقرب مقعد إليه ،
وغمغم فى ألم :
- هل تزوجتما ؟
شعرت (راوية) بالندم على ما تفوّهت به ، ولكنها
لم تكن تستطيع التراجع ، فأجابت :
- نعم .. تزوّجنا منذ ثلاثة أيام .
ثم أسرعت تستطرد :
- ولكن هذا لن يسبب لك شيئاً .. سنسافر فى الخامسة
من صباح الغد إلى (أستراليا) ، ويمكنك أن تثور لكرامتك،
وتقول إنك ستقتلنا لو رأيتنا و ....
أفاق والدها من ذهوله ، فصرخ فى غضب هادر :
- وشرفى .
انقض عليها فجأة ، وأخذ يهوى على وجهها
بصفعاته ، فسقطت تحت قدميه كفراشة رقيقة داسها فيل
ضخم ، وأسرعت أمها تمسك بذراعه صارخة :

- كفى يا (إبراهيم) .. إنك ستقتلها .
صرخ الوالد :
- لماذا فعلت ذلك ؟.. لماذا تزوّجت سرًّا ؟
نهضت (راوية) ، ومسحت خيط الدم المنساب من
طرف شفتها ، وقالت فى غضب :
- ماذا كنت تريد منى أن أفعل ؟.. لقد حاولنا
إقناعك بأن نتزوّج علناً ، ولكنك رفضت كل محاولاتنا ،
ولم تترك لنا سوى هذه الوسيلة .
امتلأت عينا الوالد بصرامة تفوق كل صرامته الماضية،
وقال فى صوت ارتجفت له الدماء فى عروق (راوية) :
- اذهبى إلى حجرتك .
أطاعته (راوية) وهى ترتجف ، وتابعتها أمها
ببصرها فى إشفاق ، ثم اقتربت من زوجها ، وقالت فى
حنان :
- اتركها تسافر مع زوجها .. لا تحطم قلبها .
استدار إليها الوالد ، وحدجها بنظرة أخرستها رعباً ،
ثم قال فى صرامة :
- إنها لن تسافر معه .. لن تسافر معه ما دمت حيًّا .

* * *

١٤ – لا يا أبى ..

عاد (حامد) إلى منزله ليعد حقيبته على عجل ، ولم يكد يصل إلى هناك ، حتى عقد حاجبيه فى مزيج من الدهشة والقلق ، عندما وجد الضوء ينبعث من ردهتها ، فأسرع يفتح الباب .. وما أن فعل حتى تسمر فى مكانه ، واكتست ملامحه بالصرامة ، وهو يحدّق فى وجه شقيقه (أبى الوفا) .

كان (أبو الوفا) فى هذه اللحظة يمسك بين يديه بتذكرتى السفر ، وجواز السفر الذى يضم صورتى (حامد) و (راوية) ، وما أن شاهد شقيقه ، حتى ألقى ما بيده على المنضدة ، وقال فى غضب :

– لقد تزوّجتها إذن !

أغلق (حامد) الباب خلفه فى قوة ، وقال فى لهجة تنطوى على التحدّى :

– نعم .

سأله (أبو الوفا) فى غضب :

– وكيف أقنعتَ والدها بالموافقة ؟

أجابه (حامد) فى برود ، وهو يتوجّه إلى غرفته ليعد حقيبته :

– ليس هذا من شأنك .

قال (أبو الوفا) فى صرامة :

– أحسنت عندما أقدمت على الهجرة ، فهذا هو الأسلوب الوحيد الذى يقيك انتقام العائلة .

أخذ (حامد) يرتب أشياءه فى حقيبته ، دون أن يبالى بالردّ ، على حين جلس (أبو الوفا) يراقبه فى صمت ، ثم قال :

– هل وافق (الهوّارى) لأنكما ستهاجران ؟

لم يجب (حامد) عن سؤاله ، فعاد يقول :

– حقير هو هذا (الهوّارى) .

غمغم (حامد) :

– لا تتحدث عنه بهذا الأسلوب يا (أبا الوفا) .

ظهر الغضب على وجه (أبى الوفا) ، وقال :

– كنت أتوقع هذه النهاية ، هأنتذا تنهر شقيقك ؛ لأنه نعت هوّاريًّا بالحقارة .

قال (حامد) فى برود :

– إنه والد زوجتى .

مطّ (أبو الوفا) شفتيه فى احتقار ، وقال :

– حسناً يا (حامد) .. إننى لن أتحدث عنه مرّة أخرى .

استدار ليغادر المنزل ، ثم توقف فجأة ، والتفت إلى شقيقه مغمغماً :

– ولكننى أنصحك بالبقاء فى (أستراليا) إلى الأبد.. فلو وطئت قدماك أرض مصر مرة واحدة ، سأقتلك .. هل تفهم ؟.. سأقتلك .

لم يحرّك هذا التهديد عضلة واحدة فى جسد (حامد).. ترك أخاه ينصرف ، دون أن يحاول حتى استبقاءه حتى الصباح ..

كل ما فعله هو أنه ألقى نظرة على ساعته ، ليعلم كم بقى لديه من الوقت ، قبل موعد لقائه بـ (راوية) ..

(راوية) أيضاً ظلت تراقب عقارب الساعة حتى الواحدة والنصف صباحاً ، ثم ارتدت ثيابها ، وحملت حقيبتها ، وسارت فى تحدٍّ إلى باب منزلها ..

لم يدهشها أن وجدت والدها ينتظرها هناك فى صرامة ، ولكنها لم ترتجف ..

بعث الحبُّ فى عروقها قوة عجيبة ..

لم يكن بإمكانها أن تضيع الفرصة الأخيرة لحياتها ، مع الرجل الذى أحبته ..

والدتها أيضاً كانت تنتظرها باكية صامتة ..

لم ترهبها صرامة والدها ، ولكن دموع والدتها مزّقت قلبها ..

تركت والدتها تحتويها بين ذراعيها ، وتغسل وجهها بدموعها ..

امتزجت دموعهما ، فى حين همست أمها فى أذنها :

– وفقك الله يا ابنتى ، وأسعدك مع زوجك .

قال الوالد فى صرامة :

– إلى أين ؟

اعتدلت (راوية) ، وهى تقول فى صرامة :

– إلى زوجى .

قال والدها فى غضب :

– لست أعترف بهذا الزواج .

قالت فى حدّة :

– الله (سبحانه وتعالى) يعترف به ، ولا يحتاج إلى اعتراف أى من البشر .

أقام الوالد بجسده حاجزاً يحول بينها وبين الباب ، وقال فى صرامة :

– لن تغادرى هذا المنزل حية ..

لم يكن فى استطاعة (راوية) أن تقاوم عناد والدها وقوته ، فقالت فى توسُّل :

– أرجوك يا والدى .. أرجوك .

لم ينبس الوالد ببنت شفة ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يتأملها فى غضب ..

تحرَّكت عقارب الساعة فى سرعة ، حتى دقت تمام الثانية ، وهى تتوسل لأبيها أن يسمح لها بالخروج ، وهو لا يبادلها كلمة واحدة ..

وفى الثانية والربع تماماً ، دق باب منزل (إبراهيم الهوَّارى) ، فهتفت (راوية) فى أمل :

– إنه (حامد) .

عقد الوالد حاجبيه فى صرامة ، ونقلت الأم بصرها بينه وبين ابنتها فى لهفة ، على حين قال هو :

– لن يجرؤ على الحضور .

وتأييداً لقوله ، استدار وفتح الباب فى ثقة ، لم تلبث

أن تحطمت تماماً ، عندما رأى أمامه (حامد) ، فهتف فى غضب :

– أنت ؟! .. يا لصفاقتك !!

قال (حامد) فى صرامة :

– أتيت لأصطحب زوجتى .

صرخ الوالد فى غضب :

– زوجتك ؟! .. ومن قال إننى أقبل زواجكما ؟

أشاح (حامد) عنه بوجهه ، ومدَّ يده إلى (راوية) ، قائلاً :

– هيَّا يا (راوية) .

فى حركة مفاجئة سريعة ، انتزع الوالد من طيات ثيابه مسدساً ، صوَّبه إلى (حامد) ، وهو يقول فى غضب :

– سأقتلك قبل أن تمسسها يدك .

ارتفعت فجأة صرخة غاضبة تقول :

– كفى .

لم تنطلق الصرخة من فم (راوية) ، وإنما انطلقت من فم أمها ..

تلك الأم التى لم تعد تحتمل هذا الأسلوب العنيد المتعنت .

لم تعد تحتمل أن ترى عذاب ابنتها الوحيدة على هذا النحـــو ..

كان لصرختها مفعول عجيب ، فقد أرخى الوالد يده الممسكة بالمسدس ، والتفت إلى زوجته ، هاتفاً فى دهشة :

- (نوال) ؟!

صرخت الأم فى وجهه :

- ماذا تريد منى ؟.. هل ستقتلنى أنا الأخرى ؟

تطلع إليها الجميع فى ذهول ، على حين واصلت هى حديثها الثائر ، قائلة :

- لقد احتملت صلفك ، وصرامتك طويلاً من أجل ابنتى ، ولكننى لن أحتمل أن تمس شعرة واحدة منها ، أو من زوجها .

تعلقت (راوية) بذراع أمها ، وهى تهتف :

- أمّاه .

أما الوالد فقد غمغم فى ذهول :

- إننى ....

قاطعته الأم فى غضب :

- أنت ماذا ؟.. لقـد حاربتهمـا وحطمت قلبيهما

طويلاً ، من أجل بعض تقاليد لم تفد منها يوماً واحـداً ، لقد فعلت ذلك فى الواقع خوفاً من هذه التقاليد .. فلو أنك قوىّ كما تدعى ، ما أرهبتك تقاليد تعلم أنت جيداً أنها بالية سخيفة .

حطمت هذه الكلمات البسيطة المباشرة كل صلف الأب وجبروته ، حتى أنه ألقى بجسده فوق مقعد قريب ، وغمغم :

- لن أحتمل ما سيترتب على هذا .

هتفت الأم فى احتقار :

- لو أنك تحبّ ابنتك حقـًا فستحتمل ، أما لو كان خوفك يفوق حبك ، فستظل دائماً جباناً رعديداً ، فى نظرى على الأقل .

ساد صمت ثقيل مشوب بالتوتر بعد أن انتهت الأم من عبارتها ، إلى أن قطعته هى بأن قالت فى حزم :

- هيّا يا (راوية) .. الحق بزوجك .

انحنت (راوية) على كفّ أمها تقبلها فى حـرارة وامتنـــان ، وامتزجت دموعهما مرة أخرى ، ثم رفعت رأسها إلى (حامد) ، الذى ظل صامتاً ، وقالت .

ـ هيَّا بنا يا (حامد) .

رفع الوالد رأسه فجأة ، وقال :

ـ انتظرا .

وقف (حامد) ، و (راوية) يتطلعان إلى الوالد ، الذى نهض فى بطء ، وسار نحوهما ، ثم مال على ابنتـه وفعل آخر ما كانا يتوقعانه ..

لقد قبلها لأول مرة فى حياته ..

لم يفعل ذلك حتى وهى بعد طفلة صغيرة ..

كانت المرة الأولى التى تشعر فيها (راوية) ، بملمس شفتى والدها فوق وجنتها ، مما فجر عواطفها ، ودفعها إلى التعلق بعنقه ، وإشباع وجهه تقبيلاً ، وأزاحها هو فى هدوء وحنان ، وهو يجفف دمعة انسابت من عينيه أمام ابنته وزوجته لأول مرة ، وابتسم ابتسامة حانية ..

ابتسامة بدَّلت ملامحه كلها ، حتى أنه بدا ، ولأول مرَّة مختلفاً تماماً فى عينى (راوية) ، وبدا صوته لها مختلفاً تماماً ، مليئاً بالحبّ والحنان ، وهو يقول :

ـ لا تنسيا أن ترسلا لنا بصورة أول أحفادنا .

تفجرت الدموع من عيون الجميع ، وعادت (راوية)

تتعلق بعنق والدها وتمطره بالقبلات ، حتى قال (حامد) فى سعادة :

ـ هيَّا يا (راوية) ، سنتأخر كثيراً .

تابعتهما أعين الوالدين وهما يسرعان بالانصراف ، ثم سالت الدموع من عيونهما غزيرة ، وقد رأى كل منهما الآخر على نحو مختلف لأول مرة .

هتفت (راوية) ، وهى تسرع إلى خارج المنزل :

ـ هل سنجد إحدى سيارات الأجرة فى هذا الوقت المتأخـّر ، أم ....

بترت عبارتها فجأة بشهقة قوية ، دفعت (حامد) إلى الالتفـات إلى حيث تحـدّق هى فى رعب ، ولم يكد يفعل حتى شعر بغضب هائل فى أعماقه ..

كان يقف أمامهما تماماً شقيقه (أبو الوفا) ، وفى ملامحه كل الصرامة ، وفى يده مسدس ضخم ، يصوِّبه إليهما فى غضب .

١٥ ـ الوداع ..

ساد الصمت لحظة ، وهما يتبادلان النظرات مع (أبي الوفا) ، ثم قال (حامد) :

ـ ابتعد عن طريقنا يا (أبا الوفا) .

قال (أبو الوفا) فى صرامة :

ـ القتل هو جزاؤكما الوحيد .

ثم أردف فى حنق :

ـ لقد انتظرت طويلاً فى سيارتى أمام منزلك ، حتى رأيتك تغادره ، فتبعتك إلى هنا ، حتى يمكننى قتلكما معاً .

أطلقت (راوية) شهقة فزع ، على حين خطا (حامد) أمامها ليقى جسدها بجسده ، وقال فى غضب :

ـ هيَّا يا (أبا الوفا) .. اقتل شقيقك .. هيَّا.. أطع هذه التقاليد البالية ، وخالف الله (سبحانه وتعالى) هيَّا .

تردَّد (أبو الوفا) لحظة ، ثم عاد يقول :

ـ لقد نشأنا وسط هذه التقاليد .

هتف (حامد) :

ـ العرب فى الجاهلية أيضاً نشئوا وسط حفنة من

التقاليد الخاطئة ، ولكن هذا لم يمنعهم من نبذها لطاعة الله (عز وجل) .

تردَّد (أبو الوفا) مرة أخرى ، وغمغم :

ـ سيكللنا العار جميعاً ، لو تركتكما .

عاد (حامد) يهتف :

ـ ألن يكللك العار فى أعماق نفسك، لو قتلت شقيقك وزوجته ؟

مضت لحظة كالدهر ، وهما يحدِّق بعضهما فى بعض، بعد أن انتهى (حامد) من عبارته الأخيرة ، ثم أرخى (أبو الوفا) مسدسه فى بطء ، وقال فى حنق :

ـ اذهبا إلى الجحيم .

تنهدت (راوية) الصعداء وهتفت :

ـ هيَّا يا (حامد).. لابدَّ أن نجد ما يقلنا إلى المطار .. الوقت يمضى فى سرعة .

تناول (أبو الوفا) مفاتيح سيارته ، وألقى بها إلى (حامد) وهو يقول :

ـ هاك مفاتيح السيارة .. اتركها فى المطار ، وسأذهب لإحضارها باكراً ، فلدىَّ نسخة احتياطية .

التقط (حامد) مفاتيح السيارة ، واقترب من أخيه ، وربّت على كتفه ، وهو يقول فى حبٍّ :

– كيف يمكننى أن أشكرك يا (أبا الوفا) ؟

أشاح (أبو الوفا) بوجهه ، وقال فى صوت متحشرج :

– اذهبا قبل أن أتراجع عن موقفى هذا .

ظل واقفاً فى مكانه كالتمثال ، حتى ابتعد (حامد) و (راوية) بسيارته ، فى طريقهما إلى المطار ، ثم غمغم فى ألم ، وهو يمسح دمعة انحدرت على وجنته :

– وداعاً يا شقيقى العزيز .. وداعاً .

* * *



١٦ – من أنا ؟..

لا ريب أنكم تتساءلون الآن من أنا ؟..

لا ريب أنكم قد شعرتم بالحيرة ، عندما انتهت قصة (حامد) و (راوية) ، على هذا النحو الذى يحقق لهما السعادة ..

لقد غادرا القاهرة فى تلك الليلة بسلام ، ووصلا إلى (أستراليا) بعد يوم ونصف يوم تقريباً ..

لا ريب أنهما الآن يتهامسان بنفس الكلمات ، التى لم أنجح فى معرفتها أبداً ..

ربما أعرفها فى العالم الآخر ، حينما نلتقى هناك ..

وإن كنت أشك فى أننا سنلتقى ..

يا لهذا النعاس اللعين !! لم أعد أستطيع حتى إمساك القلم .. هل لاحظتم أن كلماتى مرتعدة فى الآونة الأخيرة ؟

أصارحكم أننى قد بذلت مجهوداً خرافيًا ، لإتمام الصفحات الأخيرة من هذه القصة ..

أما زلتم تتساءلون من أنا ؟..

أنا الضحية الوحيدة لهذه القصة ..

لم أعد أستطيع مواجهة عائلتى ، أو رفع رأسى ، بعد ما فعله (حامد) ، وما فعلته (راوية) ..

لم يعد أحد يتعامل معى ، أو حتى يتحدث إلىَّ ..

لقد فقدت كل شىء ، ولم يعد أمامى إلا الموت ..

الموت الذى أراه الآن يحوم حولى ، ويجذب القلم من يدى فى قوة ..

لابدَّ أن أسرع إذا أردت إخباركم من أنا ..

أنا . . . .

تأشيرة

السيد المحترم طبيب شرعى محافظة قنا .

تحية طيبة ، وبعد :

مرسل لسيادتكم هذه الأوراق التى وجدت إلى جوار جثة المتوفى (أبى الوفا محمود الليثى) ، والتى توحى بأنه قد أقدم على الانتحار بكامل إرادته ، ومرفق طيه عينات لأوراق مكتوبة بخط المذكور ، للمقارنة بينها وبين الخط الذى كتبت به هذه الأوراق ، وتقرير ما إذا كان المذكور قد كتبها حقًّا ، أم أنها وضعت بفعل فاعل لتضليل العدالة .. ونحيط سيادتكم علماً أن سيادة النائب العام يولى هذه

القضية اهتماماً بالغاً ، نظراً لكون المذكور (أبى الوفا محمود الليثى) من كبار أعيان مركز (دشنا) ، ويوجد أكثر من احتمال للثأر ، برجاء سرعة الفحص ، وموافاتنا بالنتائج على وجه السرعة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

وكيل نيابة مركز دشنا

توقيع

* * *

[تمت بحمد الله]

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



المؤلف



د. نبيل فاروق

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



النبع الجاف

تحدثت جامعة القاهرة كلها عن حبّ (حامد) و (راوية) ، ولكن التقاليد القديمة وقفت أمام حبهما .. تقاليد الصعيد القاسية .
فى كل منهما كان يفيض نبع من الحبّ والحنان ، وجف النبع مع قسوة العذاب الذى فرضته عليهما الحياة .
هل يلتقى قلباهما يومًا ، أم يرتويان من نار (النبع الجاف) ؟

الثمن فى مصر
ومايعادل دولارًا أمريكيًا فى سائر الدول العربية والعالم